

روايات مصرية الجيب

7

الآن تراه..!

سافاري

www.dvd4arab.com
Hany3H

مقدمة

(سافارى) مصطلح غربى تم تحريفه عن كلمة
(سافريّة) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ (سافارى)
فهم يتحدثون عن رحلات صيد للوحوش فى أدغال
(إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافارى) التى سنقابلها هنا كانت
تصطاد المرض فى القارة السوداء .. ووسط اضطرابات
سياسية لا تنتهى .. وبيئة معادية .. وأهل متشككين ..
بطلنا الذى سنقبله دوماً ، ونألفه ، ونتعلم أن
نحبه هو د. (علاء عبد العظيم) .. شاب مصرى
ككل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيداً وسط
أدغال (الكامبيرون) ، وفى بيئة غريبة وأمراض
أغرب وأخطار لا تنتهى فى كل دقيقة ..

وفى هذه الروايات نقرأ مذكرات د. (علاء) ..
نعيش معه ذلك العالم العجيب الذى لم تتجح الحضارة
فى تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة
المجائنين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرترقة الذين
لا يمزحون .. وسارقى الأعضاء البشرية .. والعلماء
المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب كى
يظل حيًا .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل
طبيبًا ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكاميرون) ..
تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونتسلق
البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..



١ - ليلة هادئة ..

المكان : (تورنتو) .. (كندا) ..

الزمان : ليلة باردة من ليالى (فبراير) ..

الحدث : لم يحدث شئ بعد .. لماذا تسألون ؟

★ ★ ★

منزل ريفى جميل على بعد أمتار من البحيرة
المتجمدة الآن ..

تعود (كارولين) من الخارج حاملة مشترياتها من
المدينة التى تبعد أميالاً عديدة .. لم يكن الوقت ملائماً
للتسوق لكنها تذكرت أن زوجها آت غداً وبصحبه
المدير .. إن المديرين فى العالم الغربى يتغدون عند
موظفيهم ، ويعتبرون هذا نوعاً من تحسين علاقات
العمل ..

تضع سيارتها فى المرآب .. ثم تحمل كيساً عملاقاً
يحوى كل ما يخطر ولا يخطر ببالك من أطعمة لا بد
منها لإعداد وجبة الغد .

تَطْوَحُ بِحَذَائِيهَا عِنْدَ الْمَدْخَلِ ، ثُمَّ تَرْكُلُ الْبَابَ بِطَرَفِ
كَعْبِهَا ، وَتَتَقَدَّمُ إِلَى دَاخِلِ الشَّقَّةِ الْوَاسِعَةِ ..
الْإِضَاءَةُ خَافِتَةٌ لَكِنَّهَا تَتَبَيَّنُ الْمَطْبَخَ .. تَضَعُ
مَا تَحْمِلُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ عَنَاءٍ هُنَاكَ .. تَضِيءُ النُّورَ
الْكَهْرَبِيَّ .. تَفْتَحُ الثَّلَاجَةَ .. تَرَصُّ مَا مَعَهَا مِنْ
مَعْلَبَاتٍ وَمَغْلَقَاتٍ فِي أَمَاكِنِهَا الْمَلَاتِمَةِ ..
الْبَرْدُ شَدِيدٌ حَقًّا ..

تَخْرُجُ إِلَى غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ وَتَضْغُظُ عَلَى زَرْ جِهَازِ
الـ (رِيْمُوتْ كُونْتْرُول) الْخَاصِّ بِالْمَدْفَأَةِ .. الدِّفْءُ
يَزْحَفُ ببطءٍ فِي الْمَنْزِلِ الْخَاوِي ..

لِمَاذَا لَمْ تَرْزُقْ بِأَطْفَالٍ ؟ سَوَالٌ هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْوَقَاحَةِ
مِنْ جَانِبِنَا وَمِنْ جَانِبِهَا .. إِنَّ الْعَيُوبَ الْخَلْقِيَّةَ فِي
الرَّحِمِ تَحْدُثُ كَثِيرًا .. وَلَهَا مَزَايَا مُهِمَّةٌ .. فِي بَيْتِ بِلَا
أَطْفَالٍ يُمْكِنُكَ أَنْ تَجِدَ النِّظَامَ وَالنِّظَافَةَ وَكُلَّ قِصَاصَةِ وَرَقٍ
حَيْثُ تَرَكْتَهَا .. أَمَّا عَيُوبُهَا فَهِيَ ذَلِكَ الْحَنِينُ الْجَارِفُ إِلَى
صَوْتِ طِفْلِ .. طِفْلٍ يَرْكُضُ مِنْ أَعْلَى الدَّرَجِ وَيَتَعَثَّرُ .. ثُمَّ
يَحْتَضِنُهَا وَيُدْفِنُ رَأْسَهُ الصَّغِيرَ فِي بَطْنِهَا ..

عَيُوبُهَا هُوَ ذَلِكَ الْإِحْسَاسُ بِالْوَحْدَةِ وَالْوَحْشَةِ كُلَّمَا
عَادَتْ إِلَى دَارِهَا ، حِينَ يَكُونُ زَوْجُهَا فِي رَحْلَةِ عَمَلٍ ..

الأمل ؟

لا أمل .. إن (كارولين) امرأة مجربة عركتها
الحياة ، وهى تفهم جيداً معنى الشعيرات الرمادية
التي اشتعلت فى رأسها ، وتفهم معنى التجاعيد
المحيطة بفمها وتحت عينيها ..

إن الخامسة والأربعين سن متقدمة حقاً .. لها
معنى واحد : هو أن فرصتها فى أن تكون أمّاً
معدومة أو أدنى إلى ذلك ..

كانت (كارولين) معلمة .. لها وجه مريح ، وإن
يكن بعيداً عن سحر الأوثة .. وجه أم طيبة
أو صديقة لطيفة .. وعويناتها السمكة تجعلها كرجل
عجوز لطيف المعشر ..

كانت الأمومة تناسبها كأنما خلقت لها .. لكنها
لم تستطع أن تصير ما يفترض أن تكونه .. وهى ذى
حياتها ولت كشمعة تذوب دون أن يشعل أحدهم شمعة
أخرى منها ..

لكنها - على كل حال - لم تكن فى مزاج رائق
للاسترسال فى خواطر الرثاء للنفس هذه .. عليها
أن تبدأ الإعداد لمأدبة غد .. يجب تتبيل اللحم ،

وتقطع الخضر .. وإعداد الأطباق .. الطاقم الذى
لا تستعمله إلا مرة كل عامين ...

ارتدت بيجامة صوفية ، واتجهت إلى المطبخ ،
ولم تنس أن تفتح جهاز التلفزيون الموجود هناك على
سبيل سماع صوت آدمى معها فى المنزل الواسع ..
السكين وتقطع الفخذ على رخام المطبخ ..

أغنية ما فى التلفزيون .. نشرة الأخبار .. ثم
شيء ما عن ضحية جديدة .. رجل فى هذه المرة ..
وجدوه فى المتنزه العمومى وقد غطت الثلوج جثته ،
ولم يكن عسيراً على الطبيب الشرعى - وكلهم عباقرة -
أن يعرف أن عنقه قد تم حزه وهو جالس ..

ماذا يفعله رجل فى منتصف العمر بالجلوس فى
المتنزه فى هذا البرد اللعين ؟ لا أحد يعرف ..
لكنه لم ينتحر بالتأكيد .. ولم يقتل فى مكان آخر ..
إن الأمر يتعلق - حتماً - بالدماء على صدره ، وعلى
المقعد من تحته .. إنها أشياء بديهية يعرفها قراء
القصص البوليسية ، لكنها لم تنتبه جيداً للتفاصيل ..

فقط نظرت إلى الشاشة نظرة عابرة ، لترى صورة
باسمة للضحية .. رجل فى منتصف العمر كاد رأسه

يخلو من الشعر ، يرتدى معطفًا وربطة عنق وينظر
للكاميرا في مرح ، كأنما يقول : ..

- « معذرة ! لو عرفت أن الصورة ستذاع في كل
أرجاء (كندا) بمناسبة مصرعي لاخترت ربطة العنق
الرمادية ! »

حقًا لم يكن يعرف .. كلنا لا نعرف أية صورة لنا
ستوضع في نعيننا ..

قطعة اللحم لم يذب تمامًا ثلجها في هذا البرد ..
كان عليها أن تخرجها من الثلاجة عصر اليوم ..
نحن .. لا بد من جهد أكثر .. أصابعها تتجمد لكنها
تواصل المحاولة ..

والمذيع يتكلم في جهاز التلفزيون .. يقول أشياء
كثيرة عن واجب الحذر .. عن السفاح الجوال
أو القاتل المتسلسل الذي أتم بنجاح عشر جرائم
قتل شنيعة .. سبعة رجال وثلاث نساء .. ضحية واحدة
لم تمت ، واستطاعت أن تصفه بدقة لرجال الشرطة ..

وعلى الشاشة رأت (كارولين) ذات الوجه الذي رآته
عشرين مرة من قبل على الشاشة وفي الصحف ..
عوينات .. شعر قصير .. جبهة ضيقة .. ضحكة

تتظاهر بالمرح لكنها أقرب إلى تكشير الأنياب ..
والصورة كلها مرسومة بأسلوب رسامي البوليس
المتروك الخشن المليء بالتصحيح، وبالأبيض والأسود
طبعاً ..

وكالعادة قالت (كارولين) لنفسها :

- « يبدو وديعاً .. كأنه مدرس أو طبيب .. »

وكالعادة كانت تعرف أن السفاحين جميعاً يبدوون
كهذا ، ولا بد من جار أو صديق يهتف في دهشة :
« لقد كان ملاكاً .. مستحيل أن يكون هو » لم تر
قط صورة سفاح له أنياب وندبة على خذه وله
حاجبان كثان .. كلهم يبدوون كهذا ..

كانت تعرف أن هذه الأشياء تحدث للآخرين فقط ..
هى بالذات يستحيل أن يجدوها ميتة غارقة فى
دمها .. لكن الفكرة لم تبد عسيرة جداً هذه الليلة
بالذات ..

هى وحيدة .. والمنزل صامت كالقبر .. والليل
مظلم كقاع المحيط .. والفكر نشط كمحرك طائرة ..
ماذا إذا ؟

وهكذا - يمكننا فهم أسبابها - أمسكت السكين في
يدها اليمنى الباردة ، وخرجت في تودة من المطبخ ..
إن بيوت هؤلاء القوم تختلف عن بيوتنا نحن
المصريين .. فالبيت ملىء بالثغرات سهلة الافتحام ..
وهناك فتحة تناسب كل غرض ممكن : باب خلفي ..
باب مطبخ .. باب أمامي .. فتحة دخول البريد
والجريدة .. باب صغير لدخول وخروج الكلب .. فإذا
فرغنا من هذا تبقى حقيقة أنهم يحبون الزجاج أكثر
من اللارم .. جدران كاملة يتم تحويلها إلى نوافذ
لا يغطيها سوى ستار ..

هنا - للدقة - أعلن أن بيت (كارولين) كان
مؤمناً بشكل جيد ولم يكن من طراز المنازل الغربالية
هذه ..

كأنت تعرف أن كل شيء موصد بإحكام .. لكن
تبقى مشكلة الباب الرئيسي للمنزل .. ترى هل
هو

..... موصد ؟

مفتوح ! مفتوح وموارب ومن وراءه الظلام الحالك
المهيب ..

تُرى هل نسيت أن تغلقه ؟ لقد ركلته بكعب قدمها
- هل تذكرون هذا الجزء ؟ - فهل انغلق وقتها ؟
يصعب التأكد من هذا ، لهذا نظرت حولها مرتين ..
ثم أغلقت الباب بإحكام وبالمزلاج ، وثبتت سلسلة
الأمان إياها ..

وهنا نجد أنها ارتكبت أول أخطائها الفادحة ..
كان عليها ببساطة أن تخرج من الباب إلى العراء
وتولول .. تركض حتى منزل أقرب جار ..

لكن كيف كان لها أن تعلم ؟

الآن ترتكب الخطأ الثاني :

تعود إلى المطبخ وتضع السكين في حوض الغسيل ..
لقد وجدت أن عليها الانتظار قليلاً حتى يذوب الثلج
كله ..

الخطأ الثالث كان متوقعاً :

دق جرس الهاتف وجاء صوت زوجها يسألها عن
أحوالها .. قالت إنها بخير وإن عليه ألا يقلق .. وإنها
بانتظاره غداً ..

ووضعت السماعة ..

هكذا ترون أن خطوط المأساة الإغريقية كانت
مكتملة ، وما كان هناك سبيل للتراجع أو التظاهر
بعدم الفهم .. لقد اختارت (كارولين) النهاية
بنفسها .. وكان وضع سماعة الهاتف هو آخر دقة
في دقائق طبول الإعدام الخاصة بها ..
والآن يرفع الرماة بنادقهم ينتظرون الإشارة
كى

★ ★ ★

وغادرت (كارولين) المطبخ ، وقد عازمت على
أن تظفر بحمام دافئ قبل أن تنام .. خرجت إلى غرفة
المعيشة حين لاحظت شيئاً غريباً .. لقد أغلق أحدهم
جهاز التدفئة .. والطقس بارد حقاً !

هى لم تفعل فمن فعل ؟

ثم شمت رائحة التبغ ، وفهمت أن هناك من كان
يدخن فى هذه الغرفة منذ دقائق .. وأعجزها الذعر
عن فهم معنى هذا ..

- « ماذا ؟ من ؟ من ؟ »

صرخت فى فزع وهى تنتظر حولها ..

باب واحد نسيته صاحبه مفتوحاً لمدة نصف
ساعة .. وكان هذا كافياً كي يجده السفاح ويدخل ..
باب واحد !

- « من هنا ؟ من ؟ »

هنا - ومن ركن الغرفة المظلم - سمعت صوت
رجل يقول في هدوء كافعي تتسلل نحو عصفور غاف:
- « حاولي أن تتماسكي ! »

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com



هنا - ومن ركن الغرفة المظلم - سمعت صوت رجل يقول فر
هدوء كأفعى تتسلل نحو عصفور غاف : - « حاولي أن تتماسكي ! » .

٢ - نهار صاخب ..

تنز خلية النحل البشرية في (سافارى) ، حتى
تصم الآذان وتسبب الصداع للجميع .. لكنها تترك -
في نهاية اليوم - حصيلة لا بأس بها من العسل ،
يلعقه الأفارقة في تلذذ .. وما أحوج الأفارقة لكل
شيء !

تهدر التروس في الاستقبال العام .. وتروس قسم
الجراحة .. فالعظام .. فالعيون .. فالأطفال ..
فالأشعة .. بينما الترس الأعظم (بارتلييه) لا يكف
عن التوتر والقلق ..

لقد أحببت (سافارى) لأننى شعرت بحاجتهم إلى
هنا.. المكان الذى يمكن أن أكون مفيداً فيه .. لم
أنس وطنى وما زال حبه فى عروقى .. لكنى تمنيت
لو شعرت مرة واحدة بأنه يحبنى بالقدر ذاته !

لقد فررت .. وفررت إلى أين ؟ إلى جحيم الأدغال
الاستوائية .. فقط لأشعر بأننى ذو نفع .. وأن غيابى

يعطل العمل .. وأن إهمالي يجلب المصائب .. وأن
نجاحي يعنى .. يعنى النجاح !

★ ★ ★

فى عيادة الأطفال مع (برنات) :
كنت مسرورا راضيا عن الحياة كأي هريرة فرغت
من لعق فرائها ونامت فى الشمس .. وكانت
(برنات) مرحة منطلقة لا تكف عن الثرثرة وإلقاء
الدعابات ..

ولأننى مصرى ؛ كنت أعرف - وأوقن - أن هذا
السرور نهايته كارثة لاشك فيها .. المصريون شديدا
الحساسية تجاه الضحك الزائد لهذا يرددون كلما
ضحكوا عبارتهم الخالدة : « اللهم اجعله خيرا .. »
وبرغم هذا التطير لا يكفون عن الضحك ..

كانت (برنات) عاكفة على فحص طفل انتفخ
وجهه وجفناه ، حتى صار أقرب إلى البطيخة
الناضجة .. وكان يبول دما ، مما يجعل تشخيص
الحالة فى متناول أى طالب طب .. التهاب فى الكليتين
غالبا ما ينجم عن التهاب الحلق بالباكتريا السبحية ..
سألتنى وهى تدون بعض الملاحظات فى بطاقة
المتابعة :

- « هل من أسئلة ؟ »

- « نعم .. هل سيعود هذا الشيء طفلاً ؟ »

- « لقد رأيت ما هو أسوأ .. »

وابتسمت وهي تدون العلاج في البطاقة ، ثم طلبت من (بودرجا) أن يطلب من الأم أن تطلب من الطفل بعض البول ...

فعلها اللعين في أنبوب اختبار صغير ، فتاولته (برنات) وتأملته في الضوء .. اللون الأسود الدخاني المميز للدم المحطم ..

أشعلت موقد (بنزين) ثم أضافت قطرات من حمض الهيدروكلوريك إلى البول ، وبدأت في التسخين .. كانت قد اتخذت لنفسها معملًا صغيرًا في الغرفة .. سألتها وأنا أرمق البول يبدأ في الغليان :

- « ما جدوى هذا كله ؟ لِمَ لا ترسلين العينة إلى المعمل ولا داعي للصداع ورائحة البول المغلى هذه؟ »
حركت فم الأنبوبة بعيدًا عن وجهي ، وهو ما يعرفه كل من يألف المعامل ولا يريد تفجير السوائل الساخنة في عيون من حوله .. وقالت :

- « أريد معرفة ما إذا كان البول يحوى زللاً .. »

هذا اختبار سهل وبسيط لا يحتاج إلى إضاعة وقت
المعمل .. »

هزرت رأسى فى سأم وتأملت حامل الأتابيب أمامها ..
كان أتبوب البول بما يحويه من سائل دخانى مسود
فى موضعه بين الأتابيب .. إذن ما الذى تقوم هى
بغليه الآن ؟

إن الأتبوب يحوى سائلاً رائعاً مصفراً .. لقد
أخطأت الأتبوب بينما هى منهمكة فى الكلام معى ..
وحتى (هومير) يحنى رأسه ..
قلت لها باسمًا :

- « لحظة يا (برنات) ! إن هذا الأتبوب ليس
..... »

وفى الربع ثاتية التالى لكلامى انفجر الأتبوب فى
وجوهنا ...

★ ★ ★

لا شيء ! ما زلنا أحياء وأطرافنا سليمة ..
فقط كانت قطرات من السائل الحارق على وجهى ،
ونظرت إلى معطفى الأبيض فوجدت ثقوباً عديدة ..
اللعة ! لقد قامت بتسخين حمض (الهيدروكلوريك)
حتى انفجر - وهو يغلى - فى وجوهنا ..

هرعت إلى حوض الماء فغسلت وجهي وعيني ..
ثم نظرت إلى الوراء لأرى الكارثة الجديدة ..

كان (بودرجا) وأم الطفل والطفل يتصايحون، وراحوا
يصفقون ويحاولون مسح الحمض عن وجوههم ..

— « (بودرجا) ! كف عن التواثب كالبراغيت ،

واغسل وجهك ووجهيهما بالماء من الصنبور ... »

ثم نظرات إلى (برنادت) ! «

كأنت منحنية على الأرض في وضع شبيه

بالسجود ، وهي تدارى وجهها وتنهه دون انقطاع ..

ورأيت على ظهر يديها قطعاً صغيرة من الزجاج

المهشم مغروسة في اللحم .. جلست جوارها على

الأرض وربت على ظهرها محاولاً جعلها تقول

شيئاً .. هلمى تكلمى أيتها الحمقاء ! فلتؤجلى

هستيريا النساء هذه إلى ما بعد أن ألقى نظرة على

عينيك لأتأكد أنهما هناك .

— « (برنادت) ! «

فلم ترد ..

— « (برنادت) ! «

هنا استجابات لصراخي لكنها لم ترفع كفيها عن

وجهها ، وراحت تهتز بالبكاء مرعدة :

- « عَيْنَاي ! عَيْنَاي ! »

- « دَعِينِي أَر .. »

لكنها ظلت مصرة على الانكماش .. لهذا فقدت
أعصابي وانتزعت يديها قسراً .. كان وجهها مليئاً
بالجروح الصغيرة والحروق التي لم تتشوه بعد ، لكن
عينها كانت مغلفتين باحكام ..

نهضت واتجهت إلى زجاجة (بيكربونات الصوديوم)
الموجودة على النضد ، فتأكدت من قراءة الاسم بعناية
ثم أذبت بعضها في الماء في مخبر كبير وجدته هناك ..
وعدت لها لأغسل وجهها وجفنيها بعناية ..

محلول (بيكربونات الصوديوم) هو العلاج الأمثل
الأول للحروق الحمضية ، وحتى نعرف ما ننوي عمله
بعد ذلك .. إن كل طالب يحترم نفسه يعرف أن
(حمض + قاعدة ← ملح + ماء) ..

ونظرت إلى (بودرجا) الذي فرغ من غسل
وجهه عشر مرات ، وقلت :

- « اتصل بقسم العيون .. يبدو أن هناك مشكلة
خطيرة ... »

★ ★ ★

قَابِلَةٌ هِيَ الْمَرَاتِ الَّتِي دَخَلَتْ فِيهَا قَسَمَ الْعَيُونِ
هَنَا .. صَحِيحٌ أَنَّهُ يَضُمُّ عَدَدًا لَا بِأَسْ بِه مِنْ أَطْبَاءِ
أَكْفَاءِ ، لَكُنِّي كُنْتُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَلْقَى (اِبْرَاهَامَ لِيْفَى)
طَبِيبَ الْعَيُونِ الْإِسْرَائِيلِي ، وَعَلَاقَتِي بِهِ كَمَا تَعْلَمُونَ
هِيَ عِلَاقَةُ الثَّعْبَانِ بِحَيَوَانِ (الْمَاتَجُوسْتِ) ، أَوْ عِلَاقَةُ
الْكَلْبِ وَالْقَطِ ..

وَإِذَا جَلَسْتُ (بَرْنَادَتِ) الدَّامِعَةَ ؛ فَاتِحَةً عَيْنَيْهَا
الْحَمْرَاوِينَ بَيْنَمَا (لِيْفَى) يَتَفَحَّصُ الْأُمُورَ بِمَنْظَارِهِ ؛
جَاءَ لَنَا جِرَاحٌ أَمْرِيكِي شَابٌ لِيَلْقَى نَظْرَةَ عَلَي جُرُوحِ
وَجْهِهَا .. وَيَبْدُو أَنَّ (بَارْتَلِيَّه) أَرْسَلَهُ بَعْدَ مَا عَرَفَ
بِالْحَادِثِ ..

سَأَلْتُ فِي هَلَعٍ :

« هَلِ .. هَلِ سَتَتَرَكُ أَثْرًا ؟ »

قَالَ لَهَا بِاسْمًا وَهُوَ يَنْتَزِعُ قِطْعَةً زَجَاجٍ انْفَرَسَتْ فِي
خَدِّهَا :

- « لَا .. لَا .. إِنِّهَا خَدُوشٌ لَا أَكْثَرُ وَلَسَوْفَ

لَا تَحْتَاجُ إِلَّا إِلَى تَطْهِيرٍ .. »

ثُمَّ تَأَمَّلَ وَجْهِي ، وَقَالَ بِجَدِيَّةٍ :

- « أَمَّا أَنْتِ .. فَأَرْجُو أَنْ تَلْحَقِي بِي .. هُنَاكَ حَرَقٌ

مَقْبِيَّتٌ فِي جَبْهَتِكَ .. »

تحسست جبهتي .. هذا غريب .. حقًا لا أشعر
بأدنى ألم .. على كل حال لا توجد مشكلة هنالك .. إن
حرقًا في جبهتي لن يقضى على مستقبلتي في عالم
السينما .. ثم إنني أحب الرجال ذوي الندوب في
وجوههم .. هذا يجعلهم يبدوون أكثر حنكة وأعمق
تجربة ..

صارحته بهذا ، فلم يبد مسرورًا ، وهز كتفيه بما
معناه : كما تشاء .. لكنني كنت مشغولًا بالاطمئنان
على (برنادت) التي راح (ليفي) يفحص عينيها
بالمصباح الشقي .. لم يبد مسرورًا جدًا بدوره ..
وسرعان ما استدار طالبًا رأي أحد الأساتذة ذوي
الخبرة ، وراق لي هذا لأنني لم أكن على استعداد لأن
أسأل الأول أي سؤال ..

راح الأستاذ الأسباني - وهو من تلاميذ أستاذ
العيون الأسباني العالمي (باراكير) يتفحص عيني
الفتاة الكندية التي لم تعد حسناء جدًا .. ثم في قلق
غمغم :

- « لقد تضررت قرنيّاك كثيرًا .. »

سألته بدوري في عصبية :

- « هل تعنى أنها ستكون عمياء ؟ »

نظر لى لأمّا .. وبلهجته الفرنسية التى يضغط
على حروفها ، قال :

- « نحن لا نثب للحقائق بهذه السرعة أيها
الشاب .. ثم نحن لا نثب إليها إطلاقاً حين يكون
المريض جالساً ومنصتاً وقلقاً .. »
ثم بلهجة أكثر اتزاناً قال :

- « سننتظر يا صغيرتى ونرى .. قد لا تترك
الحروق أثراً وهذا جيد .. وقد تترك أثراً وهذا ليس
سيفاً لأن كل شيء يمكن إصلاحه لى مهنتنا هذه .. »
ثم أمر (ليفى) بأن يضع لها بعض قطرات العين
والكورتيزون ثم يضمّد عينيها .. لكنى جذبتّه من
ذراعه صائحاً :

- « أريد أن تفعل أنت هذا ! »

فى ارتباك نظر لى ولـ (ليفى) عاجزاً عن الكلام ،
ثم قال بعد ما فهم :

- « لا أرى ما يمنع من أن إن د. (ليفى)
ذو كفاءة والأمر سهـ »

- « أرجوك أن تفعل هذا بنفسك .. »

تراجع (ليفى) للوراء مفسحاً الطريق لأستاذه ،
ورمقتى بعين نارية .. وفى تظاهر بالروح الرياضية
قال :

- « لا عليك يا سيدى .. أن د . (عبد العظيم)
يمقتنى بشكل شخصى .. كأتنى قد قتلت أباه فى حرب
حزيران ١٩٦٧ ! »

وجلس الطبيب الأسبائى يضمّد عينى الطبيبة التى
لم تعد حسناء للغاية .. ثم أشار لى كى أصحابها إلى
غرفتها ، مع وعد بأن يعودها خلال يومين ..
متصلبة متعثرة الخطوات كما يحدث فى السينما
اتقادت (برنات) لذراعى ونحن نتجه للباب .. خيل
لى أتنى سأشحذ بها الآن مردداً : ساعدوا العاجزة
يا أولاد الحلال .. خاطر مضحك لكنه غير مناسب
طبعاً ..

(برنات) يا صغيرتى .. هل ستريين من جديد ؟

★ ★ ★

٣ - نهاية الخطّ

أما عن (جيمس ماكميلان) فقد انتظر نهاية الخطّ ..
الحق أنه كان راغباً في النزول قبل ذلك بثلاث
محطات ؛ لكن الألم الذي بدأ يتحرك في صدره خلف
عظمة القص جعله لا ينهض ..

لم يكن (ماكميلان) ممن يتوقعون أن تتخلى
أجسادهم عنهم ، ولم يعتد الألم قط ويعتبره ضرباً من
الإهانة أو الاستسلام ..

لهذا - حين شعر بالألم يعتصر فؤاده كقبضة
عملاق خرافى - كان ردّ فعله الوحيد هو أن تجاهله
أو حاول .. ثبت قدميه في الأرض وضغط على
أسنانه ، واحتشدت قطرات العرق على جبينه ..

سينتهى كل هذا .. سينتهى .. لا تحدث ضوضاء ..
كذا راح يردد لنفسه وهو يحاول أن يبدو طبيعياً ..
بالطبع كان في الوضع الذي يسميه الأطباء
بوضع (انعدام الحيلة) المميز للنوبات القلبية ،
وامتلأت راحتاه بالعرق ..

لكن شيئاً ما فى أعماقه قال له إن الأمر سينتهى
سريعاً .. سينتهى .. هو موثك على الانتهاء ..
أخيراً هدا الألم .. حمل آخر جنود الألم عصاه
ورحل ، تاركاً سهولاً شاسعة يملؤها الإعياء والإرهاق ..
لهذا نام ..

بضع دقائق نامها فى وضع الجلوس .. وحلم فى
أثناءها بأن حياته كلها خط حافلة يدنو من نهايته ..
وقد حان وقت النزول الآن ..
شعر بأنها توقفت ورفع رأسه ..

نظر إلى الأمام إلى حيث السائق ، فوجده ينظر له
نظرة متسائلة معناها : ماذا تنتظر ؟

أدرك أن هذه نهاية الخط حقاً لا مجازاً ، فتحامل
على ساقيه اللينتين واتجه للمقدمة كي ينزل ..
مبلبل الأفكار لا يفهم حقاً أين هو .. لكنه مرتبك
إلى درجة أنه عاجز عن السؤال ..

هبط الدرجات إلى الشارع المظلم البارد ، ودس
راحتيه فى جيب المعطف .. ورأى البخار يتصاعد من
فمه كبالونات الكلام فى القصص المصورة ..
أين أنا ؟

رأى الحافلة تبتعد تاركة إياه فى هذه البقعة
المظلمة الخالية من العمران .. يبدو أنها إحدى
ضواحي (تورنتو) الصناعية .. لأن هناك مبنى هائل
الحجم فى الأفق له مدخنتان ..

يا للغباء ! كان يستطيع دوماً أن يعود مع
الحافلة .. لماذا لم يفعل ؟ هذا هو بطء التفكير الذى
جعل (نيوتن) يطلب من الخادم أن يفك له المدفأة
من الجدار ويقربها منه ، بدلاً من أن يدنو بمقعده
منها ! حتى (نيوتن) يمكنه أن يكون غيباً أحياناً ..
كيف يعود لداره ؟

هذه الليلة هو فى أمس الحاجة إلى الفراش الدافئ
الوثير .. عله ينسى أن أول ذبحة صدرية أصابته
اليوم ..

هل يمشى لذلك المصنع الافتراضى ؟ تباً .. إنه
بعيد كأنما هو فى عالم آخر .. والمشى له يقتضى قطع
ساحة شاسعة مظلمة لا تدرى ما تدوسه قدماء
فيها .. يمكنك بسهولة أن تقع فى مجرور مفتوح
أو تدعس ذيل كلب غاف لن يكون رد فعله سهلاً ..
يا للبرد .. يا للبرد ..

وكان يهاب المشى .. لقد قرأ كثيراً عن الأشخاص
المصابين بداء الذبحة ، حين يمشون فى البرد
بعد العشاء .. كلها عوامل كافية لحفر قبره ..

كان هناك ضوء .. ضوء سيارة قادمة من بعيد ..
ولم ينتظر أكثر .. وقف فى منتصف الشارع وراح
يلوح بذراعيه قاطعاً طريق السيارة ليرغمها على
التوقف ، ويرغم صاحبها على الاتصال ..

وأخيراً رأى السيارة تبطئ على بعد خطوات منه ..
راكبها يفتح الباب .. سيارة زرقاء اللون عتيقة لم
يتبين طرازها ..

الأضواء مبهرة للعين لا تسمح له برؤية الراكب ..
لكن لا بأس فى هذا .. فعلى صاحب السيارة أن يكون
صاحب اليد العليا وأن يضمن جيداً الراكب ،
ويتفحصه على ضوء الكشف قبل أن يسمح له بدخول
حصنه الآمن ..

دنا من السيارة بتؤدة وهو يغمض عينيه متحاشياً
النور ..

الآن يمكنه أن يرى الراكب فيطمئن لمظهره ..
إليه ذو شعر قصير وعيونات ، يمكن أن يكون
مدرساً أو محامياً أو طبيباً ..

كان يرمقه فى نوع من التوجس ، وراق هذا
لـ (ماكميلان) .. جميل أن نخاف ثم ندرك أن
الآخرين يخافوننا أكثر ..

أحنى والبخار يعلن عن لهائه ، وقال :
- « معذرة سيدى .. لقد ضللت طريقى ها هنا ..
ليس لى أدنى علم باسم هذا المكان ولا كيفية العودة
منه .. »

سأله السائق بصوت رخيم رصين :
- « وأين تسكن ؟ »
- « فى (جيريوا) أعتقد أنها تبعد ثلاث محطات ...
« أربع محطات .. وعلى كل حال .. هى فى
طريقى .. »

وبشئ من التردد فتح الباب المجاور له ..
لا بد أن يفتنع .. لا بد .. إبنى أبدو محترماً راقياً ..
لقد كافحت طيلة حياتى كى أبدو هكذا .. وأحياناً أشعر
بالرضاء .. هكذا فكر (جيمس) وهو يدس جسده فى
المقعد المريح الدافئ جوار الطبيب | المدرس |
المحامى .. يا لها من ليلة ! ليلة تبدأ بذبحة صدرية
وتنتهى بالتوهان !

يا لها ليلة !

وانطلقت السيارة في الطريق المظلم نحو (جربوا) ..
وفي الدقائق التالية سيتعلم (جيمس ماكميلان)
درسًا قاسيًا يقولونه للفتيات دائمًا لكنهم لا يقولونه
للفتيان : لا تركب مع غريب أبدًا ..

في الدقائق التالية سيعرف (ماكميلان) سرَّ
كابوس نهاية الخط الذي رآه وهو نائم في الحافلة ..
سيتعلم شيئًا عن أساليب الخنق بسلك رفيع ..
لكنه لن يستفيد من كل هذا العلم بعد اليوم !

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

٤ - لحظة الحقيقة ..

تفحص عينيها بالمصباح الشقى ، محاولاً أن يضع
وقتاً قبل أن يحتاج إلى الكلام .. وهى مهمة ثقيلة كما
نرى ..

لكنى - من دون أجهزة - كنت أدرك معنى ما أراه ..
لقد تشوهت قرنيّتا عيني (برنات) ، وغطت كل منهما
سحابة بيضاء رمادية متسخة أشبه بزجاج سيارة
قذفه صبي شقى بكوب من (الجيلاتى) ..
كان تتعرف النور حين تراه .. وبصعوبة استطاعت
أن تعلن أن عدد أصابع (ليفى) أمام وجهها هو
ثلاثة .. بدا لى هذا جيداً وإن كان العدد الصحيح هو
أربعة ..

أخيراً نهض البروفسور الأسباتى (رودلفو شافيز)
متثاقلاً ، وجلس وراء مكتبه وقال منتقياً كلماته :
- « الأمر واضح .. لم نستطع منع تشوه القرنية ..
وهذا معناه بالطبع أننا بحاجة إلى جراحة لزراعة
واحدة .. »

كان أول ما خطر لى هو أن نظرت إلى عيني
(برنات) ، ثم تساءلت فى عصبية :

- « وهل سجد قرنية لها نفس لون العينين الجميل؟ »
تبادل النظرات مع (ليفى) لهنيهة .. ثم انفجرا
ضاحكين - برغم قسوة الموقف وخطورته -
وحتى (برنات) ابتسمت ابتسامة جاتبية حزينة ..
وهنا تذكرت أننى بسبب لهفتى وقعت فى ذات الخطأ
الذى يقع فيه الناس غير الملمين بالطب .. ليست
قرنية العين هى ما يعطيها لونها بل ما خلف القرنية ..
القرنية دائماً عديمة اللون شفافاً كالزجاج ..

ابتسمت فى خجل ، وقلت ما معناه إن الوقت ليس
ملائماً للدقة التشريحية، ثم عدت أسأل بصيغة أخرى:
- « هل سجد قرنية أخرى لها ؟ »

قال (شافز) وهو يدون بعض الملاحظات :
- « حتماً .. لكن تذكر أنه لا يوجد بنك عيون
ها هنا .. لهذا سنبرق إلى البنوك المتخصصة فى
(أوروبا) و (أمريكا) .. سيكون علينا أن ننتظر .. »
تساءلت (برنات) فى لهفة وهى تفتح عويناتها
السوداء توطئة للبسها :

- « هل سأعود لأبصر؟ هذا مؤكد .. أليس كذلك؟ »
قال باسمًا :

- « بلى .. بلى يا صغيرتى .. لا توجد أسباب
تجعلك لا تفعلين لمجرد أنك هي أنت .. »
ثم أشار لى كى أخرج بها من هنا ..

* * *

بالمنظار الأسود والمشية المتصلبة تأبطت ذراعى
وخرجنا إلى الممر الواسع المؤدى لمكاتب الإدارة ..
وكان هناك عدد من الأطباء يتكلمون فلما رأونا ساد
جو من الوجوم ..

الحقيقة أن العمى شيء رهيب .. لكن حين يتعلق
الأمر بـ (برنات) بالذات يصعب على المرء أن
يحبس دموعه .. إن الكل يحبها ها هنا .. فهي (رمز)
لا يستطيع الإنسان أن يكرهه أو يحمل له الضغائن ،
مثلها مثل (ميكى ماوس) و (شارلى شابلن)
و (سندريللا) و (الخطيب) .. رمز لكل ما هو جميل
ونقى وحيوى فى هذه الوحدة ..

وفى صمت الجنازات اتجهت إلى مكتب المدير ،
وكان البروفسور (بارتلييه) ينتظر النتيجة فى فارغ



وكان هناك عدد من الاطباء يتكلمون فلما رأونا ساد جو

الوجوم ..

الصبر .. فلما رأى وجوهنا استطاع أن يفهم دون
جهد ..

حاول أن يبدو طبيعيًا لكن هذا زاد الأمر سوءًا ،
ككل هؤلاء طبيبي القلوب الذين يتظاهرون بأنهم أكثر
قسوة وأكثر عملية مما هم ..

وفي نهاية الجلسة الكئيبة التي أشعر فيها
(برنات) بمأساتها أكثر بمراحل مما لو قال لها :
اجلسي أيتها العمياء ؛ قال لنا وهو ينهض :

— « إن نظام تأميننا محكم .. ومسئوليتنا هي
علاج كل طبيب يصاب في أثناء العمل .. لهذا تقف
(سافاري) كلها وراءك يا (برنات) ، وحتى
تستعيدى حواسك .. »

ثم ضغط على زر جهاز (الدكتافون) طالبًا
السكرتيرة ، وأردف بينما الأخيرة تفتح الباب ، وتقف
في تحفز مهذب :

— « سأبرق فورًا إلى مراكز زراعة العيون
الشهيرة ، وسنعرف ما إذا كنا سنجرى الجراحة هنا
أم في الخارج .. ثم سأطلب من (شلبي) أن يبحث في
(الأنترنت) عن قاعدة معلومات زرع الأعضاء .. »

وابتسمت فى وجه (برنات) ابتسامة لم ترها ..
لكنها أحسستها ..

دفع الابتسامة قد ينتقل فى الفراغ أحياناً ..

★ ★ ★

وكنت قد اعتدت التردد على غرفة (برنات) فى
الآونة الأخيرة .. ما كان هذا ديدنى لكن الظروف
جعلتنى اتجاهل تحفظى ، ومثلنى فعل كثيرون وكثيرات
من الأطباء هنا ..

اعتاد (بسام) التونسى أن يحمل لها شرائط
(الراى) الصاخبة ، وكان - كالعادة - يرفع صوت
الكاسيت إلى حد إصابتنا بنزف مخى .. لكنها كانت
تحب ذلك وهذا كاف ..

أما أنا فكانت أجلس على الموكيت الوردى المميز
لغرفتها ، وأقرأ لها أبياتاً من (أنت وأنا) وهو ديوان
بالفرنسية لم أستطع أن أحبه قط برغم شهرته
الساحقة .. إن فرنسيتى جيدة لكنها توقفت عند
مرحلة (فهم الأدب) ولم تصل لمرحلة (تذوق الأدب)
بعد .. وعلى كل حال كانت قراءتى الرديئة تملؤها
سروراً .. وهذا كاف ..

أحيانا كانت طبيبة فرنسية تجيء لتثرت معها ..
وفى مرة جاء (ليفى) ليظمنن ، لكنى سددت باب
الغرفة فى وجهه ، وقلت إنها بحاجة إلى راحة .. إنه
يدعى اللطف .. هذا مؤكد .. وأنا لا أهوى الصائدين
فى الماء العكر على كل حال ..

فى ذات مرة جاء البروفسور (بارتلييه) شخصيا ،
وحشر نفسه فى أريكتها الضيقة التى راحت تن
احتجاجا ، وراح يسألها عن حالها وعن الوطن ..
والحقيقة - كما لنا أن نتوقع - لم تمارس (برنادت)
أى عمل مهم منذ الحادث .. وصارت عيادة الأطفال
مسئولية الهندى (عملاق) ومسئوليتى ..

يجب أن أقول هنا إن حرقا لا بأس بحجمه صار
يشوه جبهتى .. صحيح أنه لم يجعلنى غولا لكنه
بالتأكيد لم يزدنى جمالا .. واعتدت أن أجعل خصلة
من شعرى تتدلى على جبينى لتدارى هذا الحرق ،
مما جعلنى أبدو رقيقا مستهترا للأسف .. الحق أنها
كانت أياما عسيرة ...

* * *

هنا يسأل قارئ خبيث :

ماذا كانت مشاعري بالضبط فى تلك الأيام ؟

الإجابة سهلة ويمكن توقعها .. كنت أشعر بأسى
لكن يخالطه سرور لاشك فيه .. وهو سرور غير
قاس إلى هذا الحد .

السرور طبعا لأننى صرت جوارها دائما ، بل
وصرت شديد الأهمية لها إلى حد أنها لا تطيق الحياة
بدونى .. السرور - وسامحونى على قول كهذا -
لأنها صارت ضعيفة إلى حد أن تحتاج إلى حمايتى ..
كان هناك نوع مريض من السرور لكنى سحقته
فورا .. السرور لأننى الوحيد الذى لن ينفر منها
الآن .. والذى سيبقى جوارها حتى إذا رحل الأوغاد
الآخرون ..

أعطيها عينى ؟ لا .. إن هذا قد يكون مقبولا فى
الأغاني العاطفية لكن لا مجال له فى الطب .. لا يمكن
أخذ قرنية من عين إنسان حى ، ولو كان هذا ممكنا
فلن أوافق عليه .. إبنى لم أصل بعد درجة الهيام التى
تجعلنى أقبل بالعمى من أجل حبيبتى ..

تذكرت كلمة للساخر العظيم (أحمد رجب) يصف
فيها كلام العشاق على غرار (خذ عينى يا حبيبى) ..

لو أن فتاة قالت هذا وأطاعها حبيبها وانتزع عينيها ،
لخربت بيته ولزجت به في مستشفى الأمراض
العقلية ، ولامتلأت الصحف بأخبار الحادث الفظيع ..
لا يا رفاق .. لن أتبرع بعيني .. لكني سأتبرع بكل
دقيقة من وقتي وكل عاطفة نزقة في صدري ..
فاطمئنا ..

لن أتخلي عنها أبدا ..
لكن هل يتخلي عنها الحظ ؟

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

٥ - حيث تنام النصور ..

وعلى الشاشة كان المسخ القادم من (منشوريا)
قد أوشك على الفراغ من مهمته القذرة : جعل الحياة
عسيرة بالنسبة للأبرياء .. لقد التهم رجلى الشرطة
والتهم البطلة وأوشك على التهام المخرج والمصور ..
وارتجفت (سارة) وهى ترى المسخ للمرة الأولى
يزأر فى وجهها ، والدم ينساب من بين شفثيه
المهترئتين المليئتين بالأنياب ..

فى السينما يكون الاندماج مع المشهد تاماً ،
ويختلف كثيراً عن رؤيته على الشاشة الصغيرة ،
ربما لأن السينما لا تترك حلولاً وسيطة : إما الشاشة
وإما الظلام .. إنها تستولى على كل مجال رؤيتك
وأفكارك فلا تترك لك فرصة لتنفس ..

مدت يدها فى عصبية باحثة عن بعض الاسترخاء ،
فاصطدمت بمعصم الرجل الجالس جوارها ، وهو من
الطراز الاحتكاري الذى يضع كلتا يديه على جانبيه
مقعده ..

همست معتذرة وجذبت يدها ، وبلمحة بصر أدركت

أن جازها رجل في الأربعين من عمره .. له شعر
قصير وعوينات تلتمع في ضوء الشاشة ..

قال في صوت رزين هادئ :

- « لا عليك .. إنه فيلم مخيف حقاً .. وهذا الظلام
يجعل الأشياء تبدو واقعية قريبة .. »

وعاد يواصل مشاهدة الفيلم ، وقد ترك في نفسها
انطباعاً لطيفاً مهنياً لا بأس به ..

الآن يحاولون على الشاشة قتل المسخ باستعمال
الديناميت ، والطلقات الحارقة .. لكنه - ككل
وحوش السينما .. يأبى أن يموت ..

وتدور بضع كلمات في أثناء المشاهدة ، ثم تأتي
تترات النهاية فينهض ويبتسم لها برقة ..

تأكد لديها الانطباع الحميم والدفاع الذي يشغله من
حوله .. وحين دعاها إلى قدح من الشيكولاتة لم
تمانع كثيراً ..

كانت (سارة) تعاني الوحدة .. لقد تخلص عنها
زوجها كي يتزوج سكرتيرته ، بعد ما صارحها وهو
يلتهم الإفطار بأن زواجهما فشل .. وأنه لن يحاول
ثانية لأن أحداً لم يستطع إحياء الموتى منذ عهد

الأنبياء .. صارحها بأن المرء له حياة واحدة
لا تتكرر ، وهو غير مستعد للتضحية بهذه الحياة
لمجرد إسعادها .. صارحها بأن لقاءه بسكرتيرته هذه
قد تأخر بعض الوقت .. لكن هذا الخطأ يمكن
تصحيحه الآن .. صارحها بأنها ما زالت جميلة
ولربما وجدت رجلاً آخر ..

قال لها هذا كله وهو يلتهم طعام الإفطار ..
حسن .. لم تمت (سارة) ولم تجن .. لكنها
اصطدمت بالحقيقة المريرة لامرأة تتعلم للمرة الأولى
أن تعيش وحدها ..
كان الغريب رقيقاً .. وقد أصغى إليها باهتمام ،
وهي تحكى له كل هذا .. لربما شجعها أنها لن تراه -
في الغالب - ثانية ..

أصغى إليها باهتمام وقال أشياء مماثلة عن
نفسه ، وكانت تعرف أنه معذب .. هذا واضح من
عينيه المهزومتين في بسالة وروح رياضية عالية ..
ومن السهل أن يحب المرء المهزومين الباسلين ..
وبعد ما فرغ قدح الشيكولاته كاتا قد صارا صديقين
للأبد ..

ثنى ذراعه فى رشاقة ، ودعاها إلى أن تولج
ذراعها فى الفتحة التى صنعها ذراعه ففعلت .. ومغا
غادرا الكافتريا ..

- « هل معك سيارة ؟ »

- « لا .. وأنت ؟ »

- « إنها فى ساحة الانتظار جوار دار السينما .. »
عظيم ! لا حاجة لأن تركب الحافلة لاعنة زوجها
السابق الذى أخذ معه سيارة الأسرة حين رحل ..
سيارته دافئة ناعسة تنتظر وهى تنقل ساقىها من
البرد فى ساحة الانتظار ..

أدركت من مظهر السيارة العتيق أن أحواله المالية
ليست رائجة جداً .. ولم تستطع أن تميز طرازها ..
لكنه أخبرها أنها من طراز نادر من (الفورد) ..
ربما هو الوحيد الذى يملك سيارة كهذه فى (كندا)
كلها .. وهو فخور بها ..

قالت لنفسها فى حبور :

- « الرجل الذى يتمسك بهذه السيارة العتيقة
ويحبها ، ليس من النوع الذى يحب سكرتيرته ويترك
زوجته من أجلها .. »

ثم سألته السؤال الأثووى الخالد :

- « هل تحب اللون الأزرق ؟ »

ضحك وهو يفتح لها الباب أولاً قبل أن يركب هو :

- « ليس اختيار لون السيارة حسب الذوق أمراً

حتمياً .. أحياناً تختارين السيارة - دون اهتمام باللون

- لأن سعرها يناسبك ، أو لأنها الوحيدة من الطراز

الذى تحبينه .. »

- « لم تجب سؤالى .. »

- « الأزرق ! » - وتتهد كأتما يحلم - « إن من

لا يحب الأزرق هو أحمرق ولو لم تكن السماء

والمحيطات زرقاء فكيف كان العائم سيبدو وقتها ؟ »

ضحكت كثيراً وهى تتخيل نفسها تسبح فى مياه

حمراء تحت سماء أرجوانية أو خضراء .. ثم راحت

تفحص السيارة فى اهتمام : ما كان هذا عن فضول

قدر ما هو شعورها بالحق فى معرفة كل شىء عن

هذا الرجل .. إن له عيوباً .. كل الرجال لهم عيوب ؛

وكلهم يدارونها فى اللقاءات الأولى .. لكنها تستطيع

أن تعرف الكثير عنه بهذه النظرة الفاحصة ..

مدت يدها إلى (التابلوه) والتقطت لفافة من

السلك المعدنى الرفيع .. وسألتَه وهى تتأمل الطريق
المظلم :

- « ماذا تفعل بهذا ؟ »

- « ليس لتنظيف الأسنان بالتأكيد .. إن هذه -
يا عزيزتى - سيارة عتيقة .. والسيارة العتيقة
تتعطل دائما حيث لا ينبغي أن تعطل ، محدثه مالا
ينبغي أن يكون من متاعب .. »
- « أنت تهوى الميكانيكا ؟ »
ابتسم فى مرارة وقال :

- « لنقل إبنى أهوى إعادة الأشياء الفاسدة إلى
الصواب ! »

عادت تسأله كطفل فضولى :

- « وما دور هذا السلك ؟ »

- « هناك أشياء تفسد .. عندها تدركين أن من
المفيد للمرء أن يحمل أى شىء .. قطعة سلك ..
مدية .. مفك .. حلقات مطاطية .. لا بد من سعة
الخيال فى هذه الأمور .. »

نظرت إلى الطريق ، وتساءلت :

- « إلى أين أنت ذاهب ؟ »

- « يا له من سؤال ! إلى بيتك طبعاً .. »

- « لكنى لم أقل لك عنوائى بعد .. »

نظر لها فى دهشة ، ولا شعورياً داس القرملة فكاد رأسها يرتطم بالتابلوه ، ثم داس على الوقود وهو يغتم ضاحكاً :

- « أحقاً لم تفعلى ؟ لقد تصورت أنك قلت لى أين .. »

- « إذن أنت تملك موهبة التخاطر .. »

- « حقاً ظننت أننى أعرف من أين يجىء أمثالك .. »
ونظر إلى السماء كأنها يبحث عن لفظ شاعرى مناسب :

- « جنت من حيث تنام النصور ، ويحلم النمل الأخضر ! »

ابتسمت فى رقة .. لقد كان ذكياً بحق سريع الخاطر :

- « حيث تنام النصور ! يا له من عنوان ! وأين هو ؟ »

قال وهو يقود السيارة إلى ممر جاتبى مظلم بين الأشجار :

- « هنا ! »

رأت الأشجار تلتمع فى ضوء الكشافات كأنما
هى شهود على مأساة ، وذلك الصمت الرهيب
المخيف .. ثم توقف نهائياً ..

قالت محتجة :

- « لماذا جئت ها هنا ؟ ليس هذا »

قال وهو يمدّ يده ليلتقط لفافة السلك من التابلوه :

- « إتنا هنا بالضبط فى المكان والزمان المناسبين ! »

★ ★ ★

حقاً كل الرجال لهم عيوب ..

وفى اللقاء الأول عرفت (سارة) - مبكراً جداً -

عيب هذا الغريب اللطيف .. إنه يهوى الميكانيكا

واللون الأزرق وخلق الفتيات بسلك معدنى رفيع !

وهى هواية غريبة بعض الشيء ..

كل الرجال لهم عيوب ..

لكن هناك عيوباً لا يمكن التسامح معها أو تجاهلها !

★ ★ ★

٦ - سأعود سالمة ..

بعد شهرين أعلنت (برنات) أنها عائدة إلى (كندا)
لتمضى الأشهر الثلاثة التالية بانتظار الجراحة ،
كانت مصرّة على أن تجريها فى (كندا) حيث يوجد بابا
وماما ، وحيث تستطيع أن تطمئن للجراحين ..

فهمت منطقها .. فأنا نفسى أرفض أن يجرى لى
طبيب غير مصرى جراحة .. يخیل إلى أن اللحم
المصرى لا يستجيب إلا لمبضع جراح مصرى ..
إن هناك حواراً غير مسموع بين الاثنين ..
والمصرى فقط هو من يفهم استجابة الأنسجة
المصرية وشكواها ..

من حق (برنات) إذن ألا تسلم عينيها إلا لجراح
كندى ..

أما عن فترة الأشهر الستة ، فقد علمت أنهم
لا يجرون زرع القرنية إلا بعد فترة استقرار كامل مدته
ستة أشهر ، لا تلتهب فيها العين ولا تمرض ..

إذن لا مفر للبائسة من أن تتحمل العمى ثلاثة أشهر أخرى ..

* * *

وجاء (بابا) إلى (الكامرون) ليعود بها إلى الوطن ..

رجل الأعمال الكندي (مايكل جونز) يصل إلى (سافاري) باحثاً عن طفله التي لم تعد ترى تقريباً .. ومن اللحظة الأولى شعرت بمقت شديد للرجل .. فهو في منتصف العمر - يبدو أنه تزوج مبكراً جداً - متأنق إلى حد يحطم الأعصاب ، وأنا أسقت الآباء المتأنقين أكثر من اللارم ، لأنى أشعر أن هذا على حساب أبوتهم ..

ثم هو معتد بنفسه ينظر للجميع نظرة تعال سمجة، ولا يضافح أحداً أبداً . وكان يتصرف بطريقة عملية متعجلة لا تخلو من قلة الذوق و (الجليطة) .. كأن يقول : أوكى .. هل أعددتكم كل شيء ؟ إذن يمكننى أن آخذها الآن ..

وقدمنتى (برنات) له باعتبارى أصدق صديق لها هاهنا ، فكان كل مافتح الله عليه به هو :

- « آها .. إذن ما كان يجب أن تدع هذا يحدث »
ثم أدار ظهره لى ليواصل الكلام مع بروفيسور
(بارتلييه) !

سألتنى وهى تتأبط ذراعى مبتعدة :

- « هل أحببت بابا ؟ »

- « جدًا ! إنه لطيف كالمليكات بالنسبة لمرضى
الإمساك .. »

ضحكت حتى سالت الدموع من تحت عيوناتها
السوداء ، وقالت :

- « كثيرون مدحوه لكن هذا أول مدح من نوعه ! »
سألتها وأنا أنظر للوراء لأرمى الرجل يدلى
بتعليماته :

- « غريب أن تحملى أنت جينات هذا الرجل ..
لا بد أن أمك لطيفة كالنسيم .. »
- « هذا صحيح .. »

وراحت تحكى لى كيف أن أباهما كان يريد لها فى
فلكه للأبد .. يختار لها عملها وزوجها وكل شىء ..
لكنها قررت أن تختار ما تريد .. وأصرّت على أن
تكون طبيبة - وهذا جعله يجنّ - ثم على أن تصير

طبيبة فى إفريقيا الاستوائية - وهذا جعله يتحول إلى
شعلة ملتهبة - وكان رأيه شبيهاً برأى أصدقائى حين
عرفوا أننى ذاهب إلى (الكامبيرون) :
- « ستعودين بالجذام ما لم تلتهمك الأسود أولاً ... »
هنا نظرت فى عينيهِ ، وضغطت على حروف
كلماتها :

- « أبى أرجوك .. دعنى أجرب »
فلو كان هذا من أفلام (يوسف وهبى) القديمة
لصفعها صفتين ، ولأمرها أن تذهب - عليها اللعنة -
بعيداً .. لكن فى (كندا) تختلف الأمور نوعاً : هز
كتفيه .. وقال لها : أوكى .. يمكنك أن تجربى لكن
سيكون استقلالك المادى مطلقاً .. أنت ترفضين الحياة
كما أريد لك ، لهذا دعينى أعش كما أريد لنفسى ..
وجاءت (برنادت) إلى (سافارى) وقد تحلت بكل
ما هو جميل فى أمها وتخلت عن كل ما هو مقبى فى
أبيها .. تعاملت فى مرح ودون تعال .. واتحنت
لتداوى جروح الأطفال السود الذين تقرحت أقدامهم ،
وسقط قيؤهم على معطفها الأبيض الأنيق فلم تتأفف ..
كانت سعيدة .. سعيدة حتى قررت أن تغلى حمض
(الهيدروكلوريك) لتتأكد من خلوه من الزلال

قالت لى :

- « إنهم يسيئون فهم بابا .. إنه طيب كالأطفال ..
ولم يستطع فهمه أحد سواى »
- « وأمك ؟ »

- « لم تستطع .. لهذا هما منفصلان منذ عشرة
أعوام »

لكننى لم أستطع إبعاد الفكرة الرهيبة عن ذهنى :
صورتى وأنا جالس فى صالون دارهم بـ (أونتاريو)
مع (الحاجة) .. أقدم تقريراً عن ظروفى المادية
لأبيها .. وهو يصغى فى ملل ، وفى عينيه نظرة اتهام
صامتة .. حقاً ستكون مهمة صعبة نوعاً ، حتى لو
اشتريت علبة شيكولاتة من (جروبى) قبل الزيارة ..
ثم من قال إنها ستقبل !؟

إن (برنات) شمس .. شمس تشرق على الجميع
وتمنح دفأها للجميع ومن الخطأ أن يحسب أحدهم هذا
الدفع ملكه وحده ، فإن حاول أحدهم أن يستحوذ عليه
لنفسه فالجنون والعمى نصيبه ..

كل ما بوسعى أن أفعله هو أن أصافحها فترة أطول
من اللازم ، وأقول لها وأنا أكتم دمة :
- « نحن بانتظارك سالمة .. »

قالت وهي تحرّر يدها فى تهذيب :
« اعتن بنفسك يا بنى .. ولا تحاول غلى أنابيب
البول حتى أعود ! »
وفى مرارة ضحكت ..
وفى لوعة ضحكت ..

★ ★ ★

تبّا لـ (سافارى) !
تبّا لوجوهكم الكالحة - يا أصدقائى - تحيط بى كل
يوم وفى كل مكان كوجوه ضباع فرغت من فورها من
التهام جيفة !
تبّا لروائحكم العطنة - يا أصحابى - وأحاديثكم
المملة ، ونكاتكم السمجة ، ومشاغلكم الكنيية !
تبّا لوجودى معكم ولوجودكم معى .. ولكل دقيقة أنعم
فيها بروية سحناتكم الكفيلة بإفراع الشيطان ..
إن (سافارى) لم تكن قبل (برنات) ..
ولن تكون بعد (برنات) ..

★ ★ ★

وقال لى (بسام) وقد لاحظ عصبيتى ، وضيق
صدرى ، واكتئابى الدائم :
- « وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما »



قالت وهي تحرّرها في تهذيب :
«اعتن بنفسك يا بنى» ..

نظرت إليه في حيرة .. واضح أنني صرت أحمل
لافتة على جبيني تقول بكل اللغات ، الرجاء عدم
الإزعاج .. أنا متضايق لرحيل (برنات) !
قال لي وهو يتأبط ذراعي نحو غرفة العمليات
الجراحية ، حيث كان موعدنا اليوم :

- « إنها ستعود حتماً .. فما هي المشكلة ؟ »

- « وقد لا تفعل .. ربما نجح الأخ (مايكل جونز)
في اقتاعها بعد إضاعة وقتها وسط هؤلاء المخابيل ..
ربما نجح في تزويجها .. ربما لن تسترد بصرها أبداً
ويكون مستقبلها الطبي قد انتهى .. »

قال وهو ينزع معطفه توطئة للتعقيم :

- « ربما .. ربما .. (ربما) هذه لا تكفي
للاكتئاب .. ربما تكفي للقلق لكن ليس الاكتئاب .. ثم
إنك صرت بخيلاً جداً هذه الأيام .. »

كدت أسأله عن مظاهر بخلي ، ثم تذكرت أن
(بخيل) في العامية التونسية تعادل (كسول) عندنا ..
قلت له وأنا أنزع معطفي بدوري .

- « أعدك أن أكف عن البخل يا أخ (بسام) ..
أعدك .. »

★ ★ ★

٧ - اشترُوا صابون (إيجانس)

اشترُوا صابون (إيجانس) !

يا لكم من حمقى ! يا لكم من أشرار !

أمرَ بالبيت تلو البيت حاملاً حقيبتى ، فأقرع
الجرس .. وأتجنب عضّة قاتلة من الكلب ، وأبدأ فى
شرح مزايا هذا الصابون كريح الراحّة ، عندها يغلق
الباب فى وجهى ، أو تهزّ ربة البيت رأسها باسمّة
وتعتذر لأنها تستعمل صابون كذا ..

اشترُوا صابون (إيجانس) يا بخلاء !

انفقوا كل قرش معكم على شرائه ، وقولوا لجيرانكم
وأصدقائكم إن الآن قد جاء لشراء صابون (إيجانس) ..

★ ★ ★

لا بد أن البائع المجول قد فكر فى أشياء كهذه ،
وهو يرفع إصبعه ليقرع جرس ذلك البيت فى
(تورنتو) .. وهو بيت ككل البيوت فى الجيرة :

حديقة .. منزل من طابقين .. صندوق بريد ..
وسيارة زرقاء عتيقة ..

بعد دقائق افتتح الباب، وتأمل صاحب الدار البائع ..
كان البائع يبدو كبائع .. كل هؤلاء الجوالين في
الخارج يرتدون قبعة وسترة مزخرفة بالمربعات ..
وكلهم ينساب عرقهم ، فينزعون القبعات لتظهر
الرءوس الصلعاء .. وكلهم يحملون ذات الحقائق التي
تشبه حقائق (المزيّنين) عندنا في مصر ..

أما صاحب الدار فكان يبدو كمحام أو معلم أو
طبيب .. له جبهة ضيقة وشعر رأس قصير ، وعلى
أنفه عوينات غليظة نوعاً ..

قال البائع العبارة التي استخدمها عشرين مرة
اليوم ..

« مرحباً سيدي .. ترى هل شعرت يوماً بحاجتك
إلى صابون ذي رغوة كثيفة كي »
تأمل الرجل وتأمل الحقيقية ثم قال :

- « أنت تباع الصابون ؟ »

- « حقاً سيدى .. »

- « غريب ! »

- « لا أفهم وجهة نظر سيدى .. »

ابتسم الرجل فى مرارة ، وحك شعره القصير ..

- « أنا لم ألق قط من يبيع صابوناً .. لا أحد ينتظر

الصابون فى داره .. بل يذهب المرء إلى البدال

ليشترىه .. وعلى كل حال أنا لا أجد فرقاً بين نوع

وآخر .. »

هنا تحرك التاجر ليلوح بسلعته متحمساً ، وقد

تحركت كبرياء المهنة :

- « لهذا أنا هنا يا سيدى ، لأوضح لك معنى

الصابون الجيد .. »

ثم اختلس نظرة إلى داخل الدار ، وتساءل :

- « هل فى الدار سيدة ؟ »

- « ابنى أعيش وحدى .. »

- « إذن يمكننى أن أحدثك حديث رجل لرجل

«.....»

وراح يعدّ مزايا صابون (إيجاتس) فى حماس
يوشك أن يكون دينيًا .. لكن الرجل بدا شارد الذهن ،
وانتظر حتى انتهى هذا من أكثر كلامه فسأله :
- « اسمع .. تبدو مرهقًا .. تعال وأشرب شيئًا
باردًا ثم نتكلم عن صابونك السحري هذا .. »
شعر البائع بالدهشة .. فقد اعتاد سوء المعاملة
والطرد ، حتى إن أية بادرة مهذبة كانت تشعره بعدم
الارتياح ..

لكنه قال لنفسه : الدنيا لم تخل من خير بعد ،
ولحق بصاحب الدار إلى مسكنه ..
كان المسكن أنيقًا مريحًا .. وجلس فى (لوبى)
تفوح فيه رائحة عطرة مجهولة المصدر .. يبدو أن
هناك تناقضًا فى حياة هذا الرجل .. إما هو ثرى لكنه
لا يعبأ بالسيارات الجديدة ، وإما هو متوسط الحال
لكنه افترض كى يجعل منزله فاخرًا ..

تأخر صاحب الدار بضع دقائق كانت كافية للبائع
كى يلقي نظرة فاحصة وقحة على كل شيء : على
الستائر الفاخرة .. على البساط الإيرانى السميك ..
على البياتو الأسود فى الركن .. على الصور الملونة
التي تملأ الحائط وتمثل مراحل مختلفة فى حياة طفل ..

فى النهاية جاء الرجل حاملاً كوبين من عصير
الليمون البارد ، فناول البائع واحداً ، وجلس أمام
البياتو وهو يدير كوبه بين يديه ..

وسأله وهو لا ينظر إليه :

- « حدثنى عن الصابون أكثر ! »

رشف البائع بعض الليمون .. كان بارداً شهياً ..
وبرغم أن الطقس كان بارداً فإنه - ككل الباعة
الجائلين - كان يشعر بالحرطيلة الوقت لهذا جرعة
جرعة كبيرة وقال :

- « تبدو لى من المهتمين بالصابون يا سيدى .. »

- « إنه موضوع مثير والحق يقال ... »

مد البائع يده فى حقيبته وأخرج قطعة أخرى من
(إيجانس) ولوّح بها فى الهواء وقال :

- « إن هذه الصابونة مثقوبة .. وهذا يعنى أن

ما يذوب منها يسيل إلى أسفل ولا يتراكم ليؤدى إلى

قصر عمر القطعة .. هل تعرف معنى هذا ؟ »

واتحنى للأمام فى خطورة ، وقال :

- « معناه أن هذه الصابونة تعيش ثلاثة أضعاف عمر

أية صابونة أخرى .. ومعناه كذلك أنها توفر لك مالاً ... »

بدا الاهتمام على صاحب الدار :

- « هل تقول هذا لتدهشنى فقط ؟ »

- « بل هى الحقيقة إبنى »

ثم أدرك أن هناك شيئاً على غير ما يُرام ..

إن تركيزه يقل والكلام يبدو أكثر عسراً .. كأن
لساته مربوط إلى فكه .. وكأن .. عجباً ! حاول أن
ينهض فلم يستطع .. كأنه يأمر جسداً آخر غريباً عنه ..

- « إبه المخدر فلا تقلق ! »

قالها صاحب الدار وهو يواصل ارتشاف الليمون
دون أن ينظر إليه ..

- « م .. مخدر ؟ م .. ماذا ت .. تعنى ؟ »

- « مخدر ! لا تكن طفلاً .. لا بد من مخدر فى

عصير الليمون ! »

قالها صاحب الدار وأردف وهو ينظر لساعته :

- « لقد بدأ العمل سريعاً .. إبنى بحاجة لاستسلامك

التام فى أثناء الجراحة ! »

لكن البائع لم يسمع - لحسن حظه - العبارة

الأخيرة ..

* * *

٨ - أنتظر !

عزيزى (علاء) :

أرجو أن تكون على ما يُرام تكون قد أحببت الصور
التي أرسلتها لك والتي لم أرها للأسف ، لكنها تظهر
بحيرة (سوبريور) التي يقع نصفها فى (كندا)
ونصفها فى الولايات المتحدة الأمريكية ..

كيف حال وحدة (سافارى) ، وما هى أخبار
انتصارات الملاريا المتواصلة ؟ ترى كم مريض
(إيدز) توفى ، وكم مريض فىل شفى فى أثناء غيابه ؟
الحياة تستمر حتى حين لا نكون نحن موجودين !
حقيقية قاسية أكرهها ولا أصدقها .. لكنها
حقيقة ..

حقاً تستمر الحياة بعد رحيلنا .. حقاً ستظل السماء
هناك والبحر .. ولسوف يضحك الأطفال وتغرد
الطيور .. أبداً لن يتوقف شيء إرضاء لغرورنا
البشرى التقليدى ..

★ ★ ★

لقد قام أطباء عيون كنديون بفحصى ، وقالوا إن الحالة غير مینوس منها .. لسوف تتم الجراحة خلال أسابيع ..

أما بخصوص سؤالك عن توافق الأنسجة ، فأنت كالعادة تنسى البديهيات يا (علاء) .. القرنية خالية من الأوعية الدموية تماماً ولهذا هي شفافة (*) .. وبالتالي لا توجد بها خلايا بيضاء من التي تهاجم الأنسجة المزروعة لتدمرها .. لهذا من النادر أن يحدث رفض لمزارع القرنية ، ولهذا تنجح جراحات زرع القرنية أكثر بمراحل مما تنجح جراحات زرع الكلى والقلوب والأكباد ..

هذا يفسر لك لماذا لا يشكل اختبار توافق الأنسجة عبة هنا ..

* * *

وتعتمد جراحات القرنية على العثور على قرنيات

(*) يحدث استثناء لهذا مع نقص فيتامين (ب ٢) حين تغزو الأوعية الدموية القرنية ، وتحدث عتامة لها ..

صالحة شفافة يمكن أن نثبتها بدلاً من القرنية
السليمة ..

فى العادة يأخذون هذه القرنية من عين متوف
حديث .. فيتم انتزاع عينه ، وتوضع فى مزرعة
مناسبة مثل (ماكارى - كاوفمان) حيث تحفظ
القرنية بحالة جيدة لمدة أربعة أيام ..

وقد يتم الزرع مباشرة دون مزرعة لو تم فى
غضون ساعات ..

وفى أكثر دول العالم الغربى ، توجد بنوك للعيون
يتم فيها حفظ عيون المتبرعين ، أو الموتى ناقصى
الأهلية الذين لم يموتوا بمرض عصبى غامض ، ويتم
تطبيق أساليب حفظ معقدة تسمح بإبقاء القرنيات
سليمة لفترات طويلة حتى يحتاج إليها جراح ما ...

فإذا جاء وقت الجراحة ، انتزع جراح العيون
القرنية العلية ، ثم يقوم بزرع القرنية الجديدة
بكاملها ، أو يزرع جزءاً من سمكها .. ويخيطها إلى
العين المريضة ...

من النادر أن تفشل هذه الجراحة فى الوقت الحالى،

ما لم يكن الطبيب أو المريض منحوساً .. وإبنى
لأتساءل عن حظي وحظ الطبيب ..
وهكذا أنا أنتظر ..

أنتظر في فارغ الصبر أن يموت شخص ما لأظفر
بقرنيته ! هل هذا قاس ؟ ربما .. لكن العمى أكثر
قسوة .. على كل حال أنا لن أقتل أحداً .. إن من
سيمنحني البصر إما ميت فعلاً أو سيموت في الأيام
القادمة ..

إبنى مفعمة بالأحلام والمشاريع يا (علاء) ..
مفعمة بها ولا أتصور أن يحرمنى حمض
الهيدروكلوريك الساخن من كل هذا ..

رباه ! أنا بحاجة لعيني .. بحاجة إليها لأن (هناك
مواعيد يجب أن أحفظها ، وأمياً لا يجب أن أقطعها قبل
أن أنام ..) ..

هل تقرأ الشعر الإنجليزي ؟ أعرف أنك لا تحب
الشعر غير العربي أصلاً .. لكن حاول من أجل أن
تستعيد هذه القصيدة ..

حافظ على نفسك من أجل أنى فى أمس الحاجة

إلى صديق .. وأنت صديق حقاً يا (علاء) ..
الرجل الوحيد الذى لم ينظر لى فى هيام مسبلاً عينيه
ليصارحنى كم أنا فائنة !

معك أنا على طبيعتى ، وأعرف جيداً أنك على
طبيعتك ..

حافظ على نفسك ، ولسوف أعود لك بعينين
جدينتين ..

★ ★ ★

قرأت خطابها ، وشممت رائحة عطرها المميز
تفوح من الورق ..

هاتان دمعتان ! أشعر بهما تبللان لحيتى المحيطة
بفمى .. متى نرفتهما ؟ لا أدرى ..

لماذا نرفتهما ؟ ربّما بسبب الحنين ، وربّما بسبب
الكلمات الشبيهة بالسيف يقطع أى خيط أحلام :

« الرجل الوحيد الذى لم ينظر لى فى هيام مسبلاً
..... »

« معك أنا على طبيعتى وأعرف جيداً أنك »
إنها لم تفهم قط ..

تُرى ما هو الأفضل لى ؟ صديق لاخطر منه فيما
يتعلق بالحب ، أم لا صديق لكنه خطر ؟ كانت الملكات
يعاملن عبيدهن فى تحرر ودون كلفة .. فهل هذا
أفضل أم الأفضل أن أكون عدوًا غامضًا يتحفظن
أمامه ؟ أليس هذا أدنى للكرامة والكبرياء ؟
تبًا لكل هذا السخف ! فليس الأوان أوانه ..
دعوها تبصر أولاً ثم نتكلم فيما بعد ...

★ ★ ★

لماذا لاتنقضى هذه الأيام ؟

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

٩ - ستة عشر!

فوق التلّ عند زاوية شديدة الخطر ، أوقف
سيارته ..

كان الظلام دامساً قديراً على جعلك تجتاز الهاوية
بسيارتك دون تردد ، لكنه كان يعرف المكان جيداً ..
وعلى ضوء الكشافات وقف يرمى ما عند قدميه ..
الهاوية السحيقة كأحدى حفر سقر .. إنها تناسب
غرضه ..

ما كان يهوى إخفاء الجثث ، فالعلاية هي
شعاره .. ولشدّ ما يروق له أن يذهب الناس إلى
أعمالهم أو يفتحوا باباً موصداً ليجدوا عملاً فنياً من
أعماله : جثة مشوهة في الغالب .

لكنه - في هذه المرة - كان يشعر بأن اللعبة قد
انتهت .. ولم يجد في نفسه مزاجاً للتقيد بحرفياتها
في هذه المرة ..

فتور غريب يغمره تجاه الأمر برمته .. لقد كان
مجنوناً حين شعر بمتعة في هذه اللعبة الجهنمية ..

واليوم لا يشعر سوى بما يشعر به الشبعان بعد مأدبة
حافلة دسمة .. إنه يجلس إلى المائدة منهاكاً تعساً
عديم الحيلة يلوى المغص أحشاءه ، ولا يطيق أن
يذكر أحد أمامه كلمة (أكل) مرة أخرى ..

فتح المقعد الخلفى وجرّ جسد عامل الهاتف
النحيل .. تصور هذا ! وضعه فى المقعد الخلفى لأنه
لم يجد فى نفسه حماسة لفتح حقيبة السيارة ، وهو
ما كان ليكلفه حياته لو أن شرطياً استوقفه فى أثناء
رحلته الطويلة .. لكن - الحقيقة - ما عاد يهاب
شيئاً ..

جرّ الجسد فوق الأرض الصخرية حتى أراحه على
حافة الهاوية .. ثم ركله ركلة واحدة فتدحرج كجوال
البطاطس إلى أسفل .. ربع دقيقة ثم سمع الارتطام ..
هذه جثة لن يجدها أحد ..

ربما بعد عشرة أعوام يجدون أسفل التل هيكلاً
عظمياً لا يعرف أحد صاحبه ..

★ ★ ★

ولم يعد لداره ليلتها ..



جرّ الجسد فوق الأرض الصخرية حتى أراحه على حافة الهاوية .

ظلَّ يجوب الشوارع بسيارته عاجزاً عن فهم سرِّ
حيرته ..

توقَّف عند ناد ليلي ليشرَب شيئاً ..

كانت هناك شقراء راغبة في اللحاق به ، وهي
فرصة نادرة .. إن عنقها طويل نحيل يصلح للخنق
بشدة .. لكنه ارتجف لمجرد الفكرة وشعر بغثيان
شديد ..

ماذا حدث ؟ هذه فرصة ما كان ليفوتها لو جاءته
أمس ..

أما اليوم .. فهو يشعر بفتور شديد وكآبة قاتلة ..
وغادر الملهى الليلي ليواصل رحلته الغامضة
بالسيارة ..

★ ★ ★

ولا يدري متى أشرقَت الشمس عليه وهو ذاهب
إلى لا مكان ..

تذكر فيلم (رجل وامرأة) لـ (ليلوش) حين قطع
بطل الفيلم ليلة كاملة يقود سيارته ، فقط ليكون عند
حبيبته في موعد الاستيقاظ ..

وابتسم .. كان من الجيل الذي اعتبر (ليلوش)

عبريًا ، وقد شاهد فيلم (رجل وامرأة) عشر
مرات على الأقل ..

أشرقَت الشمس وهو لا يدرى مكانه ..

إنه فى موضع ما من (كندا) .. من المؤكد أنه لم
يعبر الحدود إلى (الولايات المتحدة) ، ولم يعبر
البحر إلى (أوروبا) ..

وما أهمية ذلك ؟ كل الأماكن تتشابه ..

★ ★ ★

أوقف سيارته الزرقاء أمام (كشك) للصحف ..
وترجل ..

كانت البائعة العجوز اللطيفة تتسقى زهورها
المعروضة للبيع ، وحيته فى رقعة .. ثم سألته :
- « أنت غير متزوج ؟ »

كان النعاس يداعب جفنيه ، ويلوى نبرات صوته
حين أجاب :

- « نعم .. كيف عرفت ؟ »

- « هذا الوجه الكئيب الشاحب هو لإنسان

وحيد .. »

كانت منتعشة كالربيع ، تفوح من فمها رائحة
معجون الأسنان ، ولصوتها مذاق النهار ذاته ...
قال وهو يتفقد الصحف المعروضة :

- « حقًا يا سيدتي .. أنا وحيد كالشيطان .. »

وتناول جريدة (الجريمة) التي لم يفوت عددًا
أسبوعيًا منها ، ونقد العجوز مالها ثم اشترى إصبعين
من البسكويت بالشيكولاته .. إنه لم يأكل شيئًا منذ
ظهر أمس ..

استدار ليركب سيارته فصاحت المرأة :

- « حاول أن تتزوج سريعًا أو تشتري ببغاء ! »

- « إن الزواج أرخص حتمًا ! »

وجلس في مقعد السيارة ، وأدار المحرك مبتعدًا ..
وفي كافتريا صغيرة نظيفة ، جلس في ضوء
الشمس الداخل من النافذة جواره يطالع الجريدة ..
جاءت الساقية بعينين متفحفتين إثر النوم ،
وكانت ما زالت تعيد ترتيب بعض الأشياء على
المناضد ، فطلب منها قهوة مركزة وشطيرة جبن .. ثم
راح يبحث عن ضالته في الجريدة :

- « أخبار سفاح (تورنتو) .. »

هي ذى الصورة التى رسمها له فئاتو الشرطة ..
وهى صورة ممتازة لكنها - كعادة رسوم الشرطة -
لا تشبهه على الإطلاق ..

صحيح أنها لرجل قصير الشعر ضيق الجبهة ذى
عوينات ، لكن هذا يجعلها تصلح لمئات الأشخاص
سواه .. كل الرجال ذوى العوينات يتشابهون إلى
حد ما ..

كانت الصفحات التالية مزدانة بصور خمسة عشر
واحداً من ضحاياه .. وكل صورة تمثل وجه الضحية
المرح الضاحك ثم وجه الجثة الخامد المخيف .. لقد
رأى هذه الصور مراراً ..

بعد صفحتين قرأ مقالاً لعالم نفسى مختص فى
الجريمة ، يتحدث عنه هو بالذات .. ويقول فى
المقال :

- « هكذا ينتهون جميعاً ! »

« فى كل صباح - تقريباً - تهتز (كندا) كلها حين
تطلع على الجريمة الجديدة لسفاح (تورنتو) ،
الذى ما انفك يفاجئنا بسلسلة لا تنتهى من الجثث
المتباينة .. ثمة جثث باعة جوالين وربات بيوت

مهذبات وموظفين وبنات ليل وصبية كشافة .. خمسة عشر قتيلاً لا يربط بينهم رابط ...»

« وللحقيقة نعتزف أن سفاح (تورنتو) ذكى جداً ، فهو لا يقتل طائفة بعينها من الضحايا ، على غرار (سفاح الشقراوات) أو (سفاح الأطفال) .. كما أنه لا يستعمل أسلوباً موحداً فى القتل ..

هناك من قتلوا بالمدى ومن خنقوا بالسلك ومن ربطوا فى سيارة مسرعة حتى ماتوا .. »

« وهكذا يمكننا استخلاص حقائق مهمة : هذا السفاح لا يحمل ضغينة نحو طائفة معينة من المجتمع ، ولا يحمل ميلاً عصبياً ما تجاهها .. بالأحرى هو نفسه لا يعرف السبب فيما يفعله .. إن القتل بالنسبة لرجل كهذا هو ميل طقوسى شبيه بالطقوس الدينية .. ولربما يتصور أنه مبعوث السماء للقتل وأن هناك تكليفاً علوياً له بهذا .. »

« إن السجلات تضم سفاحين عشوائيين كثيرين من هذا الطراز ، وكلهم لم يملكوا تفسيراً لما يفعلون .. وكانوا جميعاً يتصرفون طبقاً لخطّة معينة فى ذهنهم المريض ، لكنهم جميعاً كانوا يعملون من أجل الوصول

لرقم معين من الضحايا ، وبعد بلوغ هذا الرقم يشعر
السفاح أن تكليفه العلوى قد انتهى ، وأن الوقت قد
حان لإنهاء حياته ، لهذا انتحر أكثر هؤلاء إن لم يكن
رجال الشرطة قد قبضوا عليهم أولاً ...»

« ما العدد المقدس بالنسبة لسفاح (تورنتو) ؟
الله وحده يعلم .. لكن من المعتاد ألا يزيد هذا العدد
على عشرين ، وأنا أتكلم هنا عن السفاح غير ذى
الضحية المحددة ، فسفاح الشقراوات مثلاً لا تقيدته
نظرية العدد هذه ، وقد يقتل ألف شقراء ما لم
يُعقل ...»

« وحين نتأمل الرسم الوحيد الذى حصلنا عليه
للسفاح ، والذى لم يسهل عملية اعتقاله مما يؤكد أنه
لا يشبهه إلى هذا الحد ؛ نجد - على قدر ما هو مبين -
أن سفاحنا رجل هادئ مسالم من الطراز الذى يأمن
الجيران جانيبه ، لكنهم لا يحبونه بحال ، ولا بد أن
وصفاً (مملاً) قد ورد على أكثر من لسان
بصده .. »

« طراز كهذا يوحى بأنه رأى قمعا كثيراً فى
طفولته ، وعلاقات أسرية متفسخة واجهها بأن أزداد

صمتًا وانطواءً .. يمكننا أن نتصور إذن أنه بدأ يجن
ببطء ، وأن مفهوم العدد المقدس قد سيطر عليه ...
« إننى لا أبرر فشل رجال الشرطة فى القبض عليه
حتى هذه اللحظة ، لكن سفاحًا كهذا يكون ذكيًا حذرًا
كتومًا يحسن ارتكاب الجريمة الكاملة .. وهذا يثير
الذعر لكنه لن ينسينا الحقيقة الحتمية : ثمة رقم
سيصل إليه الضحايا ثم يتوقف السفاح عن القتل ..
سيشعر بفتور بالغ وبأن حياته لم يعد لها مبرر بعد ما
انتهت رسالته ... »

« عندئذ سيجده رجال الشرطة جثة هامدة ، وإذا
لم يترك رسالة اعتراف لن يعرف أحد حقيقته إلى
الأبد .. فقط سيكتشف الناس أن سلسلة جرائم القتل
قد توقفت دون تفسير ... »

« لقد اقتربت نهاية سفاحنا المزعوم ، ربما
الآن أو بعد خمس ضحايا آخرين .. لكن - تذكروا -
العدد المقدس لن يتجاوز العشرين ... »
انتهت المقالة ..

فى غلّ وغيظ اعتصر الجريدة بين أنامله ، وغمغم
حاقداً :

- « حمار كبير يحاول أن يتعالَم ! »
وشعر بأنه لم يعد يستطيع التهام إفطاره ..

★ ★ ★

لكنه كان يفهم .. كان يعرف ..
ستة عشر !

لم يدر متى ولا كيف اختار هذا الرقم .. لكنه
صحيح ولا مفر منه ..
ستة عشر !

يحاول جاهدا معرفة لغز هذا الرقم .. ستة عشر
هو عمره عندما ماتت أمه في المتجر ، إذ أفرغ ذلك
الصلب رصاص مسدسه .. ستة عشر هو أول مبلغ
سرقه .. ستة عشر عامًا هو عمر (لويـز) حين
رفضت أن يخطبها .. ترى ما سرّ هذا الرقم ؟
لا يهم .. لكنه قد تخلص من القليل السادس عشر
أمس ، ويبدو أنه وصل نهاية الخط .. حقًا لم يعد
راغبًا في أن يرى نهارًا آخر ..

وكالمتوم اتجه إلى سيارته وأدار محركها ..

★ ★ ★

الطريق السريع الذي تفضله الشاحنات العملاقة ..

اتجه إلى جانب الطريق ، وتوغل في الأشجار
الكثيفة هناك حتى وصل إلى فسحة تسمح له بترك
سيارته ..

هنا لن يجدها أحد عن قريب .. ولو وجدوها فلا
أهمية لذلك .. فقط يريد أن يظل لغزا دائما .. يترك
لهم طلسمًا أخيرًا .. فالسيارة ستجعلهم يعرفون من
هو ..

ترك أوراقه على المقعد الخلفي ، ثم أغلق الباب ..
وماشيًا غادر ستر الأشجار إلى الطريق السريع
أو الـ (هاى واى) كما يسمونه ..

كانت الشاحنات تندفع كالبرق ، حتى لا تكاد تتبين
شكلها أو لونها .. مع ضوضاء تصم الآذان ..
لكنه كان قد اتخذ قراره بلا رجعة ..

خطا بضع خطوات إلى منتصف الطريق ، ثم وقف
في ثبات أمام الجبال العملاقة ذات العجلات القادمة
نحوه ..

لا بد أن سائق الشاحنة رآه قبل أن يدهمه
بثائتين ..

لا بد أنه ذهل كأنما يعيش كابوسًا لا ينتهى
بالاستيقاظ ..



خطا بضع خطوات إلى منتصف الطريق ، ثم وقف في ثبات أمام
الجبال العملاقة ذات العجلات القادمة نحوه ..

لا بد أنه لم يجد وقتًا كافيًا ليدوس الفرملة ، ولو
فعل لانقلبت الشاحنة إلى جانب الطريق ..
لا بد أنه قال شيئًا ما قبل أن يختفى الجسد الواقف
بعرض الطريق من أمامه .. الوجه الوديع ذو
العوينات .. وجه محام أو طبيب .. يختفى ..
ويتلاشى تحت عجلات الشاحنة ..

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

١٠ - لقد عادت !

توقفت السيارة في ساحة الانتظار بـ (سافارى) ..
وفي هذه المرة لم يعد مجال للانتظام أو الالتزام
أو إبداع الوقار .. ترك الجميع أشغالهم ، واندفعوا
يركضون إلى حيث وقفت سيارة الوحدة القادمة من
المطار ..

كانت جالسة جوار السائق ، ويدها بعد تمتد إلى
مقبض الباب .. عندها لم تدرك أن عشرة أذرع قوية
حملتها لتطوح بها في الهواء على طريقة المرح
(الأوكراتى) الثقيل .. ولأعلى ارتفعت ثلاث أو أربع
مرات وهى تضحك وتقهقه ، على حين غنوا لها
أغنية : « لأنه رجل لطيف طيب .. ولا أحد ينكر
هذا » ..

غنوها مراراً ..

وأخيراً لمست قدمها الأرض ، فراحت تتحسس
ظهرها مرددة :

« مجاتين ! أنتم مجموعة من المجاتين ! »
الحق يقال إن شعبية (برنات) لهائلة في
(سافارى) ، فلو أنها رشحت نفسها لرئاسة الوحدة
لصارت رئيسة بالإجماع ..

كانت أكثر جمالاً وأكثر أناقة ، فلا بد أن السيد
(مايكل) قد ابتاع لها طاقماً أو طاقمين من الثياب
بعد ما اشماز من ثيابها السابقة .. وكانت تضع
منظاراً أسود سرعان ما سقط منها وهى تطير فى
الهواء ، فرأيت عينيها الزرقاوين الجميلتين تنبضان
حياة وذكاء .. لقد عادت (برنات) الأولى لنا ..

صافحها الجميع ، وعانقها صديقاتها ..
ثم جاء دورى - فى المصافحة طبعاً - فاتجهت
نحوها كاتماً البركان الذى يدور فى داخلى .. هى
تريدنى صديقاً .. ليكن ..

صافحتها فى حرارة ، وابتسمت قائلاً :
« ف ف .. أه .. س .. ش .. ص .. ف .. ف
ك ق .. ه .. »

وهى عبارة بليغة جداً كما ترى لأن ارتباكى منعنى
من تذكر طريقة نطق الحروف .. لكنها تؤدى الغرض

على كل حال ؛ فماذا سيقال فى مناسبة كهذه سوى
(نحن سعداء بعودتك) أو شىء من هذا القبيل ؟
وقد اختارت (برنات) المعنى الذى فهمه ، فقالت :
- « شكرًا يا (علاء) .. إن لك فضلًا كبيرًا فى
هذا .. »

وتدحرج البروفسور (بارتلييه) قادمًا يهز طبقات
شحمة ، فحياها فى حرارة ، وقال كلامًا فارغًا كثيرًا
مما يقال فى هذه الأمور ..
ثم صفق بيديه صائحًا :

- « الآن يا شباب .. لقد أظهرتم عواطفكم
بصدق .. حان الوقت كى يعود كل لعله .. »
ولها قال وهو يمد ذراعه :

- « تعالى إلى مكتبى ولسوف يغنى العمال
بحقائبك .. »

كدت ألق بهما ، لكن د. (باركر) مساعد المدير
السمح نظر لى فى كراهية وتساءل :

- « أعتقد يا د. (عبد العظيم) أن عمالك فى
عنابر الجراحة اليوم .. »

كنت أتمنى لو نسوا أمرى هذا اليوم ، لكن هذا

الرجل لا ينسى .. ثم إننى أمقت مهمة الغيار على
الجروح هذه ، خاصة وقد رشحوا لى عنبر مرضى
الـ (غنغرينا) بأنواعها : (غنغرينا) جافة ..
(غنغرينا) رطبة .. (غنغرينا) الغاز .. كل موديلات
الـ (غنغرينا) التى لا يجمع بينها سوى أنها خبيثة
الرائحة مقرزة ، تتمنى لو فقدت حاستى الشم والبصر
قبل أن تتعامل معها ..

لكن هذا عملى .. ولو لم أفعله اليوم فلن يفعله
سواى ..

- « حالاً يا د . (باركر) ... »

وانصرفت لأمارس تلك المهمة اللعينة ..

★ ★ ★

وفى المساء احتشدنا فى الكافتريا حول كعكة
سقيمة لا يمكن أن يصنع مطبخ (سافارى) أفضل
منها .. لقد ذقت (يمك) الجيش كما تعرفون ، لكنى
لم أذق فى حياتى طعاماً أسوأ ولا أبشع من طعام
(سافارى) ..

كانت هناك كثير من زجاجات العصير ، والضحكات ،
وقد تركز الاهتمام كله حول (برنات) العائدة ..

تذكرت شعوري السابق يوم عدت من السجن بعد
مقتل (موزنجا) .. لقد كان الحفل شبيهاً بهذا ، لكن
(برنات) عائدة من سجن انعدام الحواس ، وهو
سجن - فاعلم - مرير ..

ومثلي أنا كانت شاردة الذهن متباعدة الحواس
قليلاً .. وقد فسرتُ هذا بأنها مرهقة كحامل أنجبت
توأمين من فورها ..

كان (شلبي) معنا ، وهي لفظة رقيقة من واحد
يعتبر نفسه أبا الطب ، ويرى أننا أقل من أن نعيش
لا أن يجالسنا ..

كان (إبراهيم ليفي) كذلك موجوداً ، وراح يتظاهر
بالمرح اللطيف وقد رسم على وجهه تعبير التواضع ،
كأنما يقول : هي ذى قد عادت لكم سالمة .. لقد
أعبتنا كثيراً لكننا شفيناها كما ترون !

قابلت نظراته بنظرة من نوع : كف عن الفخر
يا أحمق .. فليس لك أدنى دور في هذا ..

حقاً إن علاقتنا هي نوع من (عدم - الاستلطاف)
المتبادل .. لكنها ليست حرباً .. وإن كنت أعرف أننا
سنصطدم حتماً وقريباً جداً ..

سألها (بسام) وهو يصب لها مزيداً من العصير :
- « هل حقاً ترين الحياة بمنظار جديد ؟ »
ابتسمت وقالت :

- « إنها قرنية جديدة لم يتلفها غبار الصحراء
الإفريقية ، ولم تر الموت ولا الألم .. يشبه الأمر أن
تقود سيارة بزجاج متسخ ثم يقوم أحدهم بغسله
بعناية .. »

نظرت إلى ساعتى ووجدت أن الوقت قد حان .. إن
(سباتزاتى) يريدنى فى غرفة الجراحة معه لأساعده
فى استئصال ورم سرطانى فى معدة امرأة .. وقد
أبديت له دهشتى من اختيار العاشرة مساءً لجراحة
كهذه ، لكنه ضربنى بقبضته المشعرة فى صدرى
وصاح :

- « إن هذا مناسب لمن يكرهون الشمس مثلى
يا صبرى ! لا أستطيع أن أعمل بينما الشمس تحرق
مؤخرة عنقى ! »

وانفجر فى ضحكته الإيطالية المجنونة .. كل
شعوب شمال البحر المتوسط تطوح رأسها للوراء
وتفتح فمها إلى آخره عند الضحك .. لم أجادل ..

فهذا رجل يرى أن الشمس تضايقه برغم أنها لا تدخل
غرفة الجراحة صباحاً ولا مساءً .. هذا شأنه على كل
حال ..

نهضت لألحق به .. هنا هتفت (برنادت) وهي تنهض:
- « (علاء) .. لحظة من فضلك ! »

وبخطوات سريعة مشيت إلى جوارى ، تاركة
المحتفلين ينظرون لنا في دهشة مرددين بالأسبانية ،
بالإيطالية ، بالفرنسية ، بالإنجليزية ما معناه بالتأكيد
(ماشية معاك يا عم) أو (يا بختك) ..

سألتها وأنا أنظر لهم في ارتباك :
- « ما الموضوع بالضبط ؟ »

كنا قد عبرنا الممر الخارجى المار بالحديقة
متجهين إلى قسم الجراحة .. بالتأكيد ستصارحنى
بحبها لى فى هذا الليل المظلم الذى يعبق برائحة
زهور المساء ، وصوت صرصر الحقل الذى أجده
شاعرياً برغم كل شيء ..

ارتجف فؤادى توتراً ، وانتظرت عبارتها الأولى ..
وكانت :

- « (علاء) .. أعتقد أننى أصبت بالخبال ! »

أعوذ بالله ! يا لها من بداية روماتسية حقًا !
سألتها وقد بدأت أشعر بأننى أسأت الفهم نوعًا :
- « ليس خيال الفرحة طبعًا .. »

- « لا أدري ما هو لكنه خيال .. إن المخابيل
يرون أشياء طيلة الوقت .. أليس كذلك ؟ »
- « بلى .. ولكن هل ترين أشياء ؟ »
.. « إنه ذلك الوجه .. ذلك الوجه .. »

وارتعدت فرقًا .. فأدركت أن الموضوع جادٌ ورهيب
بحق .. هناك وجوه فى الموضوع و (برنادات)
ليست من الطراز الهستيرى العصابى إياه ..
- « وجه ؟ وماذا يفعل بالضبط ؟ »

- « لا شيء .. يحملق فى .. »

- « وهل هو مجسم ؟ »

- « يبدو مضخمًا يشمل المكان كله .. كأنه من
لقطات المزج الشهيرة فى السينما .. لقطة عامة
للناس من حولى تمتزج بها لقطة قريبة جدًا للوجه .. »
آه .. فهمت ! الأمر إذن يتعلق بالوجوه المحلقة
فى الجو ، وهذه الفتاة قد أصابها الخيال كما تزعم
أو هى فى الطريق إليه ..

قلت لها وأنا أفكر في الخطوة التالية :

.. « حسن .. سنتحدث في هذا كثيرًا فيما بعد ..

أما الآن فإن وجه (سباتزاني) الغاضب هو الشيء
الوحيد الذي أراه ! »

ولم تكن هذه طريقة للتخلص لأنني حقًا قد تأخرت
عن الرجل إلى حد الخطر ، وحين ترى (سباتزاني)
غاضبًا ضخمًا كالثور ويزار كالبركان تتعنى لو لم تكن
أمك قد أنجبتك ..

وتمنيت لها ليلة سعيدة على أن أراها غدا ..

★ ★ ★

فرغ (سباتزاني) من استئصال المعدة وسط
ضوضاء لا تهمد ، وشتائم وضحكات ولكزات
بالكوع .. حتى شعرت كأن رأسي ينفجر ..

فلما كان لا يجد استعدادًا للمرح من جانبي كان
يزداد صراخًا ، ويتهمني بأنني معقد ومنطو ومريض
بـ (الميلانخوليا) ..

وبعد ساعة وربع فرغ ببراعته المعهودة من
استئصال الورم مع نطاق أمان لا بأس به من العقد
المفاوية ..

سألته وأنا أحاول الاتزان كي لا أسقط مغشياً على:
- « هل .. هل ستشفى ؟ »

ناولنى الجفت والخيط لأرتق طبقة العضلات، وقال:
- « هذا يتوقف يا صبي على ما إذا كنا لم ننس
خلية سرطانية واحدة داخل هذه المرأة .. على كل
حال يمكننا أن نرى ما سيوصى به أطباء العلاج
الكيمائى والإشعاع .. ربما أوصوا ببضع جلسات من
الأشعة .. مام ماميا ! أحقا لم تنته من رتق العضلات
بعد ؟ إن خالتى تجيد الجراحة أكثر منك .. »

أخيراً انتهى هذا الكابوس وعدت لغرفتى ..

إن (سباتزاتى) ممتع ، بل وقطعة من الفن الرفيع ..
لكن ليس فى العاشرة مساءً حين تنفد طاقتى ويجف
وقودى ..

فتحت باب الغرفة وانتويت أن أحوّل إلى لوح من
خشب حتى الصباح ، لكنى سمعت الصرخة قادمة من
غرفة

(برنات) !

★ ★ ★

١١ - رؤى ..

كلا لاتجزعوا ..

لا داعى لانزعاجكم .. إنه مجرد كابوس يا سادة
رأته طبيبتنا الكندية الشابة .. لا تتجمعوا أمام
حجرتها أرجوكم .. عودوا لأعمالكم أو لأسرتكم ..
كابوس يا سادة .. ألا يرى أحدكم كابوساً ؟ كابوس
هو كالذى يزورك لو التهمتم شيئاً دسماً على
العشاء ، أو نمتم على ظهوركم ، أو شاهدتم فيلماً من
الأفلام إياها قبل النوم ..

كانت الغرفة مفتوحة وبها أربعة أو خمسة يطيبون
خاطرهما ، واضح أنها صرخت أعنف صرخة دوت فى
(سافارى) منذ إنشائها ، لأن الطابق كله قد استيقظ
مندهشاً أو خائفاً ..

دنوت من الباب فرأيتها جالسة على الفراش
تولول ، وأدركت أن قفل الباب مهشم لأن من هرعوا
لها ظنوها تذبج .. وصاح صائح :

- « لا مشكلة يا شباب .. عودوا لأسرتكم .. »
لكنى تجاهلته واجتزت الباب ، وفردت الملاءة على
ساقها ثم دنوت منها وأنا أتساءل : هل من الغباء أن
أستفهم عن كابوسها ؟ لربما كان من الحكمة أن
أخرس وأكتفى بتهدئة روعها ..
رفعت عينيها الحمراءوين الدامعتين نحوى ، وكأنا
لأترىحنى صاحت :

- « إبه وجه جديد يا (علاء) ! »
هنا - وقد صار لى دور فى الموضوع - شرعت
فى طرد كل هؤلاء الفضوليين بعبارات على غرار :
انتهى الأمر يا سادة .. لا مشكلة هناك ، إلخ ..
أخيراً صرنا وحدنا فى الحجرة ..
اللعنة ! لقد داسوا على (الموكيت) الوردى
بأحذيتهم القذرة ، وأقدامهم الحافية الأكثر قذارة ..
جلست على (الموكيت) جوار الفراش لأوحى لها
بالاسترخاء ، وعدت أستقصى هذه النقطة الأخيرة ..
- « وجه جديد ؟ »

- « نعم .. وجه امرأة هذه المرة .. »
تحاشيت إبداء ردود أفعال ، وسألتها فى مزيد من
الحذر :

- « وجه امرأة .. هل تعرفينها ؟ »

- « البتة .. لكنه كان واضحاً كالشمس ... »

وابتعلت ريقها الذى جففته شحنة الانفعال

السببأوى ، وهمست :

- « شقراء ذات شعر قصير .. كانت تعيد رأسها

للوراء وقد جحظت عيناها وتدلّى لساتها وارتسمت

على وجهها أعتى أمارات الهلع .. يمكن القول إنها

كانت تختنق ! »

وشهقت منتظرة ردى ، فلما لذت بالصمت أردفت :

- « وكان وجهها كالمعلق فى سماء الغرفة .. كلما

نظرت لجهة رأيتها حتى صرخت ، وهشم أحدهم

الباب .. لا بد أن استجابتنى طالت أكثر من اللازم ..

وأضاءوا النور الكهربى عندها تلاشى الوجه .. »

لم أجد ما أرد به عليها .. فهذه الهلوسة أمر

لا يمكن تفسيره سوى بأنها هلوسة .. لا جديد

هناك .. وكوابيسى أفضع من هذا على كل حال ..

سألتها فى صوت حاولت أن يكون رقيقاً :

- « هل أنت قادرة على النوم الآن ؟ »

- « أظن هذا ... »

- « إذن نامى ... »

★ ★ ★

وفى الصباح عادت للعمل فى عيادة الأطفال ،
للمرة الأولى منذ الحادث .. وكنت أنا مشغولاً مع
(إيشيهارا) فى التخدير فلم أرها ..
فيما بعد عرفت أنها تصلبت فجأة كأنما هى ترى
الشيطان ذاته ..

اتسعت عيناها وصرخت بصوت شبيه بالندابات
الأجيرات :

- « ابتعدى على ي ي ي ي ! »

وارتجفت فرائص (بودرجا) البائس حين رأى
المشهد .. فهو متعلم لكن ميراث العفاريت والأرواح
لم يفارقه قط ، وكان رآيه قاطعاً : الأرواح الشريرة
قد حلت بجسد د. (جونز) ..

وهكذا حملوها حملاً إلى الاستراحة .. وقدموا لها
مشروباً مثلجاً وحاولوا أن يطمئنوها لكنها كانت
ترتجف كورقة ..

جاءنى (يسام) فى غرفة الجراحة ليقول بلهجة عابرة:

- « (برنات) فى حالة سينة فى الاستراحة ..
ربما كنت راغبًا فى »

نظرت له شذرا .. لقد اعتبرنى الجميع هاهنا
العاشق الولهان الذى لا يفوت فرصة لتطيب خاطر
معشوقته .. أنا لا أنكر هذا الدور لكنى لا أريد أن
أمارسه علانية ، بحيث يتطوع الجميع بإخبارى
بوجوب أن أفعل شيئاً ..

على كل حال : لم أجد وقتاً كافياً للاحتجاج ،
واعتذرت لـ (إيشيهارا) ..

ولحسن الحظ لم تكن الجراحة قد بدأت بعد .. كنا
فى طور الإعداد لها .. ثم هرعت إلى الاستراحة دون
أن أنتظر رد الرجل ..

وكانت (برنات) فى وضع شبيه بوضعها أمس ..
ذات الدموع والانهيار والتهافت والمخاط السائل من
 الأنف .. فقط كانت بمعطفها لا قميص النوم .. فلما
رأنتى صاحت فى جنون :

- « (علاء) ! افعل شيئاً ! »

قلت فى غباء :

- « أفعل شيئاً لأى شىء ؟ »

- « لهذه الوجوه التى تلاحقتى ! »

- « هل حدث من جديد ؟ »

- « بالطبع .. وجه امرأة تصرخ والشرر الكهربى يتصاعد من منخريها وفمها وأذنيها .. حتى حدقتيها صار لونهما أبيض .. (علاء) .. لقد رأيت امرأة تموت صعقاً بالتيار الكهربى ! »

- « هى نفس المرأة السابقة ؟ »

- « لا .. هو وجه امرأة متقدمة فى السن ،

وجها ملئ بالتجاعيد ... »

بحثت عن كلمات ، وفى النهاية ضغطت على كرتى عيني بإصبعين من أصابعى ، وقلت مستسلماً :

- « (برنات) .. كل شىء فى هذا العالم يمكن

قياسه أو شمه أو سمعه .. لا توجد خوارق هاهنا ..

الأمر ببساطة هلاوس .. هلاوس ، لكن الجنون ليس

خالقها .. بل الإرهاق .. لقد عشت أياماً عصيبة حقاً

ولهذا دوره فى كل ما ترين .. »

- « وكل هذا لا يتعلق بالمس الشيطانى

ولا الجنون ؟ »

- « إن الشياطين مشغولة بألف شىء غير خلق

الرؤى الجنونية لك .. وقتها لا يسمح بهذا الهراء ... »

ابتسمت للمرة الأولى ، وبدأت تتخذ وضع
النهوض .. وفجأة توقفت وسألتني :

- « متى ينتهى كل هذا ؟ »

- « لا أدرى .. لماذا لا تقومين بإجازة تريحين
فيها أعصابك المنهارة ؟ »

حكّت شعرها الأشقر كأنما تمرح فيه ألف قملة ،
وقالت :

- « إجازة ثانية ؟ لا تنس أننى عائدة من إجازة
ستة أشهر .. متى أمارس عملى إذن ؟ »

ثم واصلت النهوض مترنحة قليلاً لكن مصممة
على الاستمرار .. العزيمة تمشى على قدمين
وحذاءين مطاطيين ..

* * *

فى قاعة المحاضرات ..

جلسنا جميعاً بانتظار بدء المحاضرة التى سيلقيها
ضيف من منظمة الصحة العالمية .. البروفسور
(ماك ويلسون) خبير (الملاريا) الذى جاء من
(تايوان) خصيصاً كي يحدثنا عن الوضع الوبائى
للملاريا فى جنوب شرق آسيا ..

كان الكرسي المجاور لى شاغراً ، فرأيت (برنادت)
شاردة الذهن تقصده فتريح جسدها إليه ، ولم
تكلف نفسها بتحيتى أو بـ (التشنكة) الشهيرة
التي هي ماركتها المسجلة ..

برغم هذا شعرت برضا .. إنها حائرة .. وهى فى
حيرتها تتجه لا شعورياً إلى أدنى موضع لى دون أن
تدرك ذلك .. شفقة غامرة مزقت روحى عليها .. ولم
أبر متى كانت أتعس : وهى ضريرة أم وهى مبصرة
تنتابها الهلاوس ..

كانت المحاضرة ستلقى بالإنجليزية ، لهذا تطوع
(آرثر شلبى) بأن يترجم إلى الفرنسية ما سيقال ..
وأنا أجد راحة فى سماع الإنجليزية والكلام بها تدنو
من راحتى لسماع العربية .. لكن — للأسف — تعتبر
الإنجليزية من الخطايا فى وحدة (سافارى) .. الكل
يتكلم الفرنسية حتى الإنجليز والألمان والإيطاليين
والفرنسيين أنفسهم !

وعلى مكبر الصوت نقر (شلبى) مرتين بسبابته ..
مغمغماً :

« الانتباه من فضلكم ... »

أخيراً ساد الصمت ، والتفت إلى ضيفه ليقول له :

- « يمكنك البدء يا سيدي ... »

أطفأوا الأنوار استعدادًا لعرض الشرائح الذي
سيقدمه لنا (ويلسون) وشعرت بذلك الشعور اللذيذ
من الترقب كالذي كان ينتابني حين تطفأ الأنوار
في (سينما مترو) في (القاهرة) ، ونحبس أنفاسنا
بانتظار رأس الأسد الذي يزأر ويتلفت حوله مشمئزًا ..
هذا سمعت شهقات من جوارى ..

شهقات تتزايد .. تزداد سرعة .. تتلاحق .. ثم ...
ثم وقفت (برنات) صارخة :

- « كفى ي ي ي ي ي ي ! »

ثم انفجرت في البكاء وغطت عينيها بكفيها ..
هنا تحولت قاعة المحاضرات إلى ما يشبه
(الترسو) في سينما (مترو) كما كنت أقول لك ..
صياح وضوضاء وتساؤلات ..

أما أنا فكنت أعرف دون أسئلة ..

طبعًا رأيت وجهها كذا يموت بسبب كذا ..

رفعت يدي كي أخرس هؤلاء الهمج ، وصحت :

- « لا تقلقوا ! إنها مرهقة الأعصاب وتهاب

الظلام ... »

هنا - فى تؤدة - قال (شلبى) فى مكبر الصوت
حيث وقف على المنصة :

- « د. (عبد العظيم) .. أرجو أن تعالج هذا الأمر
خارج القاعة .. »

كأتنى لن أفعل ! لشد ما تثير غيظى هذه الافتراحت
الغبية الزائدة عن الحاجة .. بهذا يبدو فى صورة
المنقذ حاضر الذهن ثابت الجنان ..

وساعدت (برنات) على مغادرة القاعة ، بينما
الكل ينظر فى فضول أو فى دهشة ..

★ ★ ★

بعد ما شربت الماء البارد ، أعادت رأسها إلى
الوسادة الموضوعة على الأريكة وقالت :

- « كان وجهها بدينا أصلع يحتشد العرق على
جبينه .. كان مذعورا لكنه عاجز عن المقاومة ..
أقرب ما يكون إلى المخترين أو المنومين .. »
- « هذا لا يثير الذعر .. »

- « بل يثير لأن نصل سكين كان يتحرك ببطء
فوق عنقه ! »

ابتلع البروفسور (بارتلييه) ريقه فى فزع وتحسس

عنقه .. وجهه بدين أصلع يحتشد عليه العرق .. ليس
تصور نفسه في هذا الموقف عسيراً ..
سألها في رقة وهو يجوب الغرفة :
- « والحلّ يا (برنات) ؟ »

- « لست أنا المسئولة عما أعاتيه يا دكتور .. »
راح ينسق بعض الزهور في مزهرية على
منضدة .. تسيت أن أقول لك إتنا كنا في استراحة
الأطباء مرة أخرى ..
بعد هنيهة قال :

- « إتني في سن والدك ، وأعرف أنك تحملين
لى ما أحمله لك من مودة واحترام .. لهذا
لا أرى ما يشين في أن أطلب منك المرور على
د. (جونستون) صباح غد .. »
- « كنت أفكر في هذا .. »

هنا صعد الدم إلى رأسى ، وصحت على الفور :
- « عيادة الأمراض النفسية ؟! لم نصل بعد لهذا
الحد .. »

ازداد لطفاً كعادته كلما هوجم ، وصاح ملوحاً
بيديه :



سألها في رقة وهو يجوب الغرفة :
- «والحلّ يا (برنادت) ؟» ..

- « هَاتِنَذَا يَا (علاء) تَتَحَدَّثُ كَرَجَالِ الْقَبَائِلِ .. إِنْ
الْمَرَضُ النَّفْسِي لَا يَعْنِي الْجُنُونُ .. الْاِكْتِسَابُ مَرَضُ
نَفْسِي ، وَكَلْنَا مَكْتَتِبُونَ إِلَى حَدِّ مَا .. »
هَنَا تَدَخَّلْتَ (بَرْنَادَت) :

- « سَأَفْعَلُ يَا بَرُوفْسُور .. هَذَا وَعْدٌ .. »
شَكَرَهَا عَلَى ذِكَايْنِهَا ، ثُمَّ أَشَارَ لِي مِنْ طَرَفٍ خَفِيَ
عَنِّي الْحَقُّ بِهِ ..

لَحَقْتُ بِهِ وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ وَرَائِي ، وَكِدْتُ أَصِيحُ
اتَّفَعَالاً .. لَكِنَّهُ أَوْقَفَنِي بِإِشَارَةٍ حَازِمَةٍ مِنْ يَدِهِ ،
وَهَمَسَ :

- « (علاء) .. لَا تَزِدُ الطِّينَ بِلَّةً .. إِنْ الْفِتَاةَ فِي
طَرِيقِهَا لِلْجُنُونِ وَمَنْ يَزْعُمُ غَيْرَ هَذَا فَهُوَ مُنَافِقٌ ابْنُ
مُنَافِقٍ ! »

★ ★ ★

١٢ - عالم قاس يا فتاة !

تمت زيارتها لـ د. (جونستون) فى سرية تامة ..
هذا طبيعى لأنه - حتى فى وسط طبى مثل
(سافارى) - يمكن للمرء أن يثير علامات الاستفهام
حول نفسه لو تعامل مع الطبيب النفسى ..
إن كل (سافارى) تتحدث اليوم عن نوبات
(برنات) ، ولا ينقصها سوى أن يراها الجميع
تدخل عيادة الطبيب النفسى ..
لحقت بها إلى هناك لكن الطبيب الإنجليزى ابتسم
فى تهذيب ، وعيناه الزرقاوان لا تكفان عن النعب فى
محجريهما ، وأغلق الباب فى وجهى معلنا دون كلام
أن الفتاة بحاجة إلى الخصوصية ..
وقفت ساعة كاملة خارج الباب أنقل قدمى قلعا ..
حتى شعرت بما يحسه الأب الذى ينتظر طفله الأول
خارج غرفة التوليد ..
أخيرا افتتح الباب ، ومن جديد هز الإنجليزى رأسه

محييا ، وخرجت (برنات) فى تردد وقد بدا عليها
ذهول الأدغال الذى تحدث عنه الأمريكيون فى
(فيتنام) ..

سألتهما ونحن عائدان :

- « ما هو رأيه ؟ »

- « لا شيء .. هذه الوجوه لا تمت بصلة لماضى ..

هذا سهل .. فأنا لم أر أى وجه من هذه الوجوه فى
حياتى .. »

- « وكالعادة دار فى دائرة الهلاوس .. »

- « لا يوجد سواها .. »

دون كلمة أخرى جذبتها من معصمها ، واتجهنا
إلى قسم العيون .. فسألتنى وهى تتبعتنى فى استسلام :

- « ماذا ستفعل هناك ؟ لا علاقة للجراحة بـ .. »

- « سنرى ! »

★ ★ ★

سألتنى (ليفى) عما أريد بلهجة عربية سرقها

- ككل شيء - من عرب فلسطين ؛ وخرجت مقبلة
محرقة من أنفه الأختف :

- « إيش بتريد هون ؟ »

لم أرذ وتقدمت حتى وصلت إلى مكتب البروفسور
(شافيز) ، فقرعت الباب ودخلت .. وأشرت لها كي
تجلس ..

سألنى وهو يضع سماعة الهاتف :
- « هذه طبيبتنا الشابة .. لا تقل لى إن هناك
مشاكل ... »

- « هناك مشاكل ... »
ثم شرحت له كل شيء عن الوجوه إياها ..
وأضفت :

- « لقد بدأ كل شيء بعد الجراحة .. يصعب هاهنا
ألا تربط بين الأمرين لأن المصادفات لا تحدث إلا فى
دروس الإحصاء ... »

ابتسم .. ونظر إلى عيني (برنات) مدققاً ، وقال :
- « إن القرنية يا بنى لا تزيد على غطاء شفاف
للقرحية .. كزجاجة ساعة .. لا قدرة لها على جعلك
ترى أشياء لا وجود لها .. لقد أخطأت العبادة
المناسبة .. إن عبادة الأمراض النفسية هى فى نهاية
هذا الممر على اليسار ... »

- « مررنا بها أولاً .. وقال لنا (جونسون)
إن عيادة العيون هي في بداية هذا الممر على
اليمين .. »

ابتسم من جديد لهذا الرد ، ثم بعد برهة تفكير
دعاها إلى النهوض لتجلس على مقعد الفحص وراء
عدسة المصباح الشبقي .. وجلس على الجانب الآخر
وراح يفحص عينيها في اهتمام ..
بعد دقائق قال لي وهو ينهض :

- « لا يوجد شيء غير معتاد .. المزرعة تعمل
بشكل ممتاز .. ولا مظاهر رفض .. كما أنه لا توجد
أجسام أو دماء في الجسم الزجاجي وراء العدسة ..
أي أنه من المنطقي ألا ترى أية أشياء غير معتادة في
مجال بصرها .. »

الأجسام في الجسم الزجاجي احتمال كنت قد فكرت
فيه وتمنيته ، فهو يفسر أشياء كثيرة نراها دون أن
توجد .. وأبسط نموذج على هذا هو (الذباب الطائرة)
التي يراها كثيرون منا تحلق عند أطراف مجال
الإبصار كلما نظرنا في اتجاهات معينة ، وإضاءة
معينة ..

تنهت في استسلام :

- « أي أنه لا يوجد تفسير... »

- « إلا ما قلته لك أولاً... »

نظرت إلى (برنات) الخائفة المذعورة ، والتي أحاطت الهالات السوداء بعينيها .. وخطر لي أن الفكرة ليست مستبعدة تماماً ..

يبدو أن رحلتها إلى (كندا) كانت قاسية ، مما جعلها تعيش في دائرة من الحصار النفسي المرير .. ترى ماذا فعل بها أبوها وماذا قال لها ؟ فعل وقال بالضبط تلك الأشياء التي تجعلها ترى وجوها صارخة طيلة اليوم ..

★ ★ ★

ولم تر (برنات) الوجه التالي إلا بعد الظهر .. كانت قد أعدت بعض شرائح نخاع العظام ، وأخذتها معها إلى المعمل لتسترشد برأي د. (هيلجا) الشمطاء ، كما هي العادة دائماً ، لأن (برنات) تملك اهتماماً خاصاً بأمراض دم الأطفال ..

تقول إنها راحت تضبط عدسة المجهر ، وأخيراً بدأت ترى الخلايا السرطانية الخبيثة المميزة لسرطان

الدم اللماوى الحاذ .. الخلايا مبهمه رائفة ، ثم
تنضح ببطء شديد وتزداد معالمها حدة ..

هنا رأت (برنات) - فى مجال رؤيتها تحت
العدسة - ذلك الوجه المولول الباكى .. وجه رجل
يضع على رأسه قبعة رسمية ما : عامل مصعد أو
موزع بريد أو ... المهم أنه يصرخ وأن حبلاً سميكاً
يلتف حول عنقه ..

قررت ألا تصرخ .. لسوف يتلاشى هذا المشهد
سريعاً ..

رفعت عينيهما وتأملت المعمل حولها ، وهالها أن
أدركت أنها ترتجف كورقة حتى إنها اعتصرت يدها
اليمنى بيمسراها كي توقف الرجفة ..
سألتها (هيلجا) وهى تنفث دخان لفافة التبغ ،
وتدنو منها :

- « ما كل هذا الذعر ؟ إن العرق يسيل على جبينك
بشدة .. هل الخلايا شرسة إلى هذا الحد ؟ »
لم تجد صوتاً فهزت رأسها مرتين ..
قالت (هيلجا) بصوتها الرجولى الخشن ، ودون
ذرة تعاطف :

- « يا له من عالم قاس يا فتاة ! كل هؤلاء
الأطفال يموتون بسرطان الدم إن لم يجدوا فرصة
للموت بالمalaria ... »

- « ن .. نعم »

وعادت تنظر إلى ما تحت المجهر داعية الله أن
يكون قد رحل ..

لكنها وجدته ما زال ينتظر ، مواصلاً رجلته البطيئة
الكريهة من يمين مجال رؤيتها إلى يساره ..

ولم تشعر متى ولا كيف جلست (هيلجا) جوارها ،
وراحت تدرس المشهد باستعمال العدسة الجانبية
للمجهر (القطعة التعليمية) .. لم تر (هيلجا) شيئاً
بالطبع وراحت تتفحص الورم على حين يخلق دخان
سيجارتها أنفاس (برنات) ، ثم كان رأيها قاطعاً :

- « لا خلايا سرطانية يا فتاة .. أنت تتوهمين .. »

صاحت (برنات) محتجة :

- « لكن .. هناك الكثير منها .. إن .. »

- « ولا خلية واحدة .. يبدو أنك مرهقة للغاية بعد

ما حدث لعينيك .. »

ثم نفثت الدخان في وجه (برنادت) ، وهتفت
ولفافة التبغ بين أصابعها الطويلة الخشنة بأظفارها
المصبوغة وأطرافها المسودة :

- « عالم قاس هناك يا فتاة .. يفعلون كل شيء
كي يجعلونا نجن .. فإذا ما جئنا اتهمونا بالجنون
وتخلصوا منا ! »

★ ★ ★

عالم قاس يا فتاة !

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

١٣- هُم !

جلست على (الموكيت) الوردى فى حجرتها أبحث
وسط مجموعة أسطواناتها عن شىء يصلح ..
يستحيل أن أعرف أبداً الفارق بين (شتراوس)
و (موتسارت) أو بين (رحمانينوف) و (بتهوفن) ..
كلهم منكوش الشعر يهز عصاه فى جنون ، وكلهم
يكتب موسيقا لا يمكن متابعتها ولا بد من أن تنام فى
أثناء سماعها ، ما لم تكن مثقفاً وهو ما لا ينطبق
على للأسف ..

لهذا اخترت أسطوانة جميلة الشكل لغلافها ألوان
براقة ، ووضعتها على جهاز الفونوغراف الصغير ،
وبدأت الموسيقا السامة تفعم جو الحجرة طاردة
الذباب والحشرات الصغيرة ..

كانت هى جالسة فى طرف الحجرة وقد أسندت
رأسها إلى الجدار ، وحولها تناثرت الصحف
والمجلات التى كانت تقرأها حين رأت الوجه الجديد ..
وجه فتاة حسناء ملطخاً بالدماء ..

قلت لها منتقياً كلماتي :

- « (برنات) .. سينتهي كل هذا .. ولسوف
تملوك هذه الذكريات مرحاً يوماً ما ... »
في مرارة ساخرة قالت دون أن تحرك ساكنة في
بدنها :

- « حقاً إن المرح موجود .. أشعر به من الآن ... »
عدت أقول لها محاولاً أن أبدو منطقياً :
- « ثمة شيء آخر .. هذه الوجوه لا تزورك
إلا في إضاءة معينة ... »

- « لقد عرفت هذا من زمن .. ظلام غرفتي
الخافت .. ظلام قاعة المحاضرات .. الجزء المعتم في
عبادة الأطفال .. حقل المجهر .. لا بد من ظلام غير
تام .. لا بد من ضوء خافت جانبي ... »
« هذه الوجوه تفرّ عندما ترى الشمس الساطعة
أو الظلام الحالك .. وهو نفس ما يحدث لـ (الذبابة
الطائرة) ... »

ساد الصمت بعض الوقت ، ثم سألتها :

- « لمن هذه الأسطوانة ؟ »
- « (ليست) .. إنك تكرهها .. أليس كذلك ؟ »

- « أنا أكرههم جميعاً ... »

ثم إنها عدلت من جلستها .. اتخذت وضع
القرفصاء وراحت تقلب صفحات المجلات التي جاءت
بها من (كندا) دون تركيز .. مجرد طريقة للتشاغل
عن المحادثة ، بينما الأخ - هل كان اسمه (ليست) ؟
- يملأ الغرفة بالضجة السيمفونية ..

سألها بشكل عابر :

- « هل القراءة تريحك ؟ أعنى : لا رؤى ؟ »

أصدرت صوتاً متقطعاً من الذى تصدرنه حين يقلن
(لا) ، وواصلت التصفح وقد بدا أنها ستطردنى بعد
ثوان لأنها لم تعد تطيق أحداً .. لهذا أثرت الصمت ..
كلمة أخرى ستجعلها تنفجر فى ..
فجأة سمعتها تصرخ ..

كانت تتصفح مجلة اسمها (الجريمة) حين وصلت
لملزمة المنتصف وحين رأت ما جعلها تغير جلستها
مذعورة ، حتى صارت تزحف على أربع تقريباً ..

- « هل حدث شيء ما ؟ »

- « (علاء) ! »

- « ماذا حدث ؟ »

- « (علااااا) ! ! »

ثم رفعت المجلة مفتوحة في وجهي .. ورأيت
صفحة ملأى بصور صغيرة الحجم بعضها ملون
وبعضها أبيض وأسود ، لحشد من القوم رجال
ونساء ..

- « لقد رأيت هذه الوجوه ! »

★ ★ ★

هل ترى هذا ؟ وهذا ؟

هذا هو الرجل الأصلع البدين .. وهذا هو أول وجه
رأيت .. أما هذه المرأة فهي التى كانت تصرخ
والكهرباء تندلع من عينيها ..

هذه هي الفتاة المخنوقة .. لقد رأيت هذا الوجه فى
(كندا) قبل أن أركب الطائرة .. وهذا .. إنه
وراحت تضحك فى هستيريا ثم تنسج ..

ولم تدرك أنها أشارت إلى كل وجه ، ووصفته سبع
مرات منذ رأت المجلة ..

هذا .. هذا هو الرجل البدين الذى كان النصل على
عنقه .. وهذه .. كانت تموت صعقا بالكهرباء .. هذا
الرجل هو من

أمرتها أن تتوقف ، ثم مدت يدي أنتزع المجلة ..
وبنظرة مدققة رأيت أن هناك خمسة عشر وجهاً ...
وقد تم نشر الصور في أزواج .. بحيث تظهر الصورة
الأولى الضحية في حياتها الباسمة ، وتظهر الصورة
الثانية وجه الجثة الذي يرمقنا في غباء مذعور ..
ربة بيت - موظف - سكرتيرة - بائع جوال -
..... إلخ .

أما عنوان الملزمة فكان (أخبار سفاح تورنتو) ..
وكان هناك مقال عن سلسلة جرائمه ، ومقال بعنوان
(هكذا ينتهون جميعاً) ..

سألتها وأنا أحاول القراءة :

- « لا بد أنك سمعت عن هذا السفاح حين كنت

هناك ... »

- « حقاً سمعت .. لكني لم أقرأ مقالاً واحداً عنه

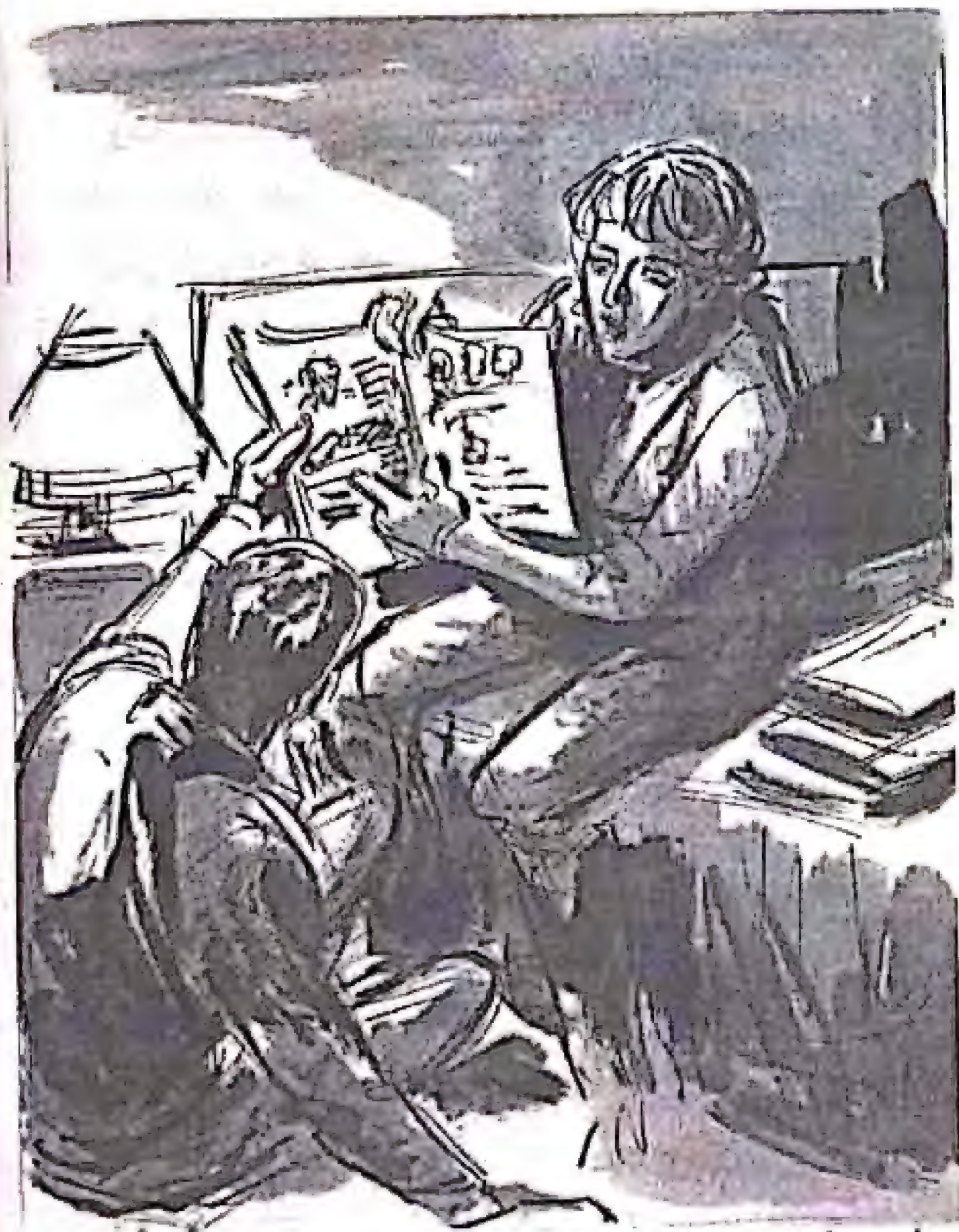
ولم أهتم بمشاهدة صور ضحاياه .. إن السفاحين

كثيرون في (أمريكا الشمالية) حتى إنك لا تضيع

الوقت بقراءة كل ما كتب عنهم ... »

- « أي أن هذه الجريدة .. »

- « اشتريتها من المطار ولم أفتحها قط »



أمرتها أن تتوقف ، ثم مدت يدي أنتزع المجلة ..

- « وأنت واثقة من ؟ »

- « كل الثقة .. »

بالنسبة لى ، بدا الأمر واضحاً .. هى رأت هذه
الصور بشكل ما ونسيت الأمر ، ثم تحركت الذكرى
المريرة فى عقلها الباطن وفى وقت لم تتوقع فيه شيئاً
كهذا .. لكنى لم أعلن رأىى ..
عدت أسألها :

- « هل رأيت هذه الوجوه بعد موتها ؟ »

- « بل لحظة موتها ! إن ما رأيته أنا يقع ما بين
كل زوجين من هذه الصور .. لم يكن ما رأيت صور
أحياء ولم يكن صور موتى .. بل - بدقة - صور
محتضرين مذعورين ! »

وفى اتبهار هتفت وهى تتأمل الجريدة فى يدي :

- « ومن الواضح أنهم ماتوا كما رأيتهم بالضبط ! »

نفس أساليب القتل .. »

نظرت لها عاجزاً عن الكلام .. ثم بعد هنيهة

سألتها :

- « وهل لديك تفسير معين لكل هذا ؟ »

- « لا تفسير .. لكنى أشرح لك ما يحدث هنا .. »

- « إذن اسمحي لي بأخذ هذه المجلة .. أريد أن أقرأها على مهل .. »
وطويت الجريدة / المجلة تحت إبطي واتجهت إلى حجرتي ..

* * *

وفي المساء توجهت إلى مكتب (آرثر شلبي) ..
كان جالساً يقرأ مرجعاً علمياً ، فلما رأيته ابتسم متسائلاً عن الريح التي ألفت بي هاهنا ، فقلت له
إبنى راغب في استخدام شبكة (إنترنت) على جهاز الحاسب الخاص به ..

- « أريد الاتصال بمركز لزراعة العيون في (مونتريال) .. »

- « لا بأس .. لكن هل لديك عنوانه البريدي ؟ »
- « هذا هو ما أريد البحث عنه .. إن لدى اسم المركز كاملاً .. »
وهكذا بدأنا ..

استغرق البحث ربع ساعة ، ثم وجدنا العنوان فأرسلت سؤالاً بسيطاً موجزاً على أن أتلقي الرد سريعاً .. إن البريد الإلكتروني يصل لوجهته في نفس

اللحظة تقريبًا التي تقرر فيها إرساله .. لكن لا بد من عامل تأخير يتعلّق بالمزاج البشرى ، حين يتنازل من يتلقى البريد ويردّ عليك .. وهو قد يحدث فى يوم أو فى دقائق ..

سألنى (شلبى) وقد أثارت دهشته رسالتى الغامضة :

- « اهتمام علمى مريب ! »

- « فقط لا تنسنى إذا ما ردّوا عليك .. »

* * *

وعند ظهر اليوم التالى سمعت أن (شلبى) يريدنى ..

هرعت إلى مكتبه ، وسألته فى لهفة :

- « ماذا قالوا ؟ »

ابتسم فى برود ، وقال :

- « أنا لا أقرأ رسائل موجهة إليك يا بنى حتى لو

كان هذا متاحًا .. لا تنس هذا .. فأسراك لا تهمنى ! »

- « شكرًا .. هذا كرم منك .. »

وجلست أمام الشاشة أقرأ ردّ المركز .. هذا هو

ما توقعته تمامًا ..

شكرت (شلبى) وفارقه شاعراً بامتنان شديد
لتلك الأعجوبة التى جعلت معرفة معلومات كهذه ،
أمراً متاحاً خلال ساعات ..

★ ★ ★

(برنات) يا ملاكى ..
لا تخافى ولا تفزعى ولا ترتجفى فرقاً ..
إن كل ما أقوله غريب ، وينافى المنطق وما زلنا
بحاجة إلى فهمة .. لكنى سأجعلك فى الصورة ..
إن القرنية التى زرعوها لك تخص متوفياً ..
نعم .. نعم .. لا بد من أن يكون متوفياً .. حقاً
لا جديد فى هذا .. لكنه متوف فى ظروف مريبة ..
لقد اتصل مركز زراعة العيون ببنك العيون ،
وتحقق من مصدر القرنية التى زرعوها لك ..
صاحبها رجل عديم الأهلية .. لم يتعرفه أحد قط ..
انتحر فى (تورنتو) بطريقة غامضة جداً بأن وقف
على الطريق السريع أمام الشاحنات المندفعة
كالبرق .. وقد تحول جسده إلى (هامبرجر) لكن رأسه
ظل سليماً إلى حد ما ، وأمكنهم استئقاذ قرنيته ..
أنت تحملين هاتين القرنيتين إذن ..

★ ★ ★

والآن دعينا نتساءل عن سرّ انتحار هذا الرجل ..
دعينا نتساءل عن سرّ رؤيتك لهذه الوجوه
الصارخة طيلة الوقت ..
دعينا نتساءل عن سفاح (تورنتو) الذى لم يُعتقل
قط ..

دعينا نتساءل عن مقال المجلة الذى يتحدث عن
انتحار السفاح الحتمى بعد رقم معين من القتلى ..
كل هذه التفاصيل تبدو مترابطة ..
كلها تبدو ذات أهمية عظمى ..

★ ★ ★

إن كل هذا هراء لكنه يفرض نفسه بقوة علينا
الآن ..

ماذا إذا افترضنا جـدلاً أن القرنيتين اللتين
تحملينهما الآن هما قرنيتا سفاح (تورنتو) ؟
تذكرين القصص الكابوسية القديمة عن انطباع
صورة القتيل على عيني قاتله ؟
هل تجددين تفسيراً آخر هاهنا ؟
أعرف أنه هراء .. أعرف أنه سخف ..

العين ليست فيلماً خاماً تنطبع عليه الصور ، ولو

حدث هذا لكأنت الشبكية أولى بشيء كهذا .. فالقرنية
قطعة زجاج بريئة لا ذنب لها ..
لكن هل تجددين تفسيراً آخر ؟
حقاً يجب أن نعرف أكثر وأن نفهم ..
حقاً يجب أن نجد تفسيراً أفضل ..
إن أشياء رهيبة ستحدث هاهنا ..
يمكننى أن أقسم على ذلك ..

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
نهاية الجزء الأول
Hany3H
www.dvd4arab.com

سافاري

مغامرات طيبات شاب يجاهد

لكي يظل حيا وكي يظل طيبا

روايات
مصرية
الحبيب

الآن تراه..!



د. احمد خالد توفيق

الآن تراه..! قد تكون وحيدا وقد تكون
بين رفاقك .. قد تكون سعيدا وقد تكون
مكتئبا .. قد تكون شاردا أو تكون غارقا
في التركيز.. الآن تراه .. ورؤيته لاتعنى
سوى المزيد من الهلع .. لأن ماتراه هو
الموت بعينه

www.dvd4arab.com
Hany3H

العدد القادم
الكابوس

المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
100000 - 100000 - 100000
100000 - 100000 - 100000

الكتاب في خمسة
وسبع أجزاء باللون الأحمر
في مكتبة الدول العربية والعالم